الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة-

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ميثولوجيا الذّات و مركزية الحلم في رواية الخيميائي" لباولو كويلو"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي التخصص: ادب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
عبير بن زهرة

إشـــــــــراف:
د / زهيرة بوزيدي

السنة الجامعية: **2016/2015**

كلمة شكر وعرفان

اللّهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرّضا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

إنّ الاعتراف بالجميل ليس إلاّ جزءا من ردّ وشكر وامتنان لصانعه.

أتقدّم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز وإتمام هذا العمل المتواضع، ولو بابتسامة وأخصّ بالذّكر الأستاذة الفاضلة "زهيرة بوزيدي" التّي قبلت الإشراف على هذا العمل وإتمامه،فقد كانت المرشدة و الموجهة ولم تبخل عليّ بما لديها ،وفقّها الله لما تحبه وترضاه، مستحقّة منّي أسمى معاني التّقدير والاحترام .

كما أتقدّم بجزيل الشكر لأعضاء اللجنة الكريمة، الذين تفضلوا مشكورين لمناقشة مذكرتي.

فصدق من قال:

قم للمعلّم وفّه التبجيلا *** كاد المعلّم أن يكون رسولا.

مقدمة

تتصدّر الرّواية الأجناس الأدبية لمرونتها، وقدرتها على مواكبة مجريات الـواقـع ومتغيّراته؛ فهي الوعاء الذّي يصبّ الكاتب فيه أفكاره وأحاسيسه ومشاعره، ممزوجة بجملة المفاهيم التّاريخية التّراثية التّراكمية المتداخلة، والتّي تعرف تحوّلا وغموضا؛ كالميثولوجيا الواقعية القائمة على الدّين الذّي ارتقى بالرؤيا؛ فتتوالد اللّغات داخل اللّغة الواحدة، محاولة تشريح حيثيّات الذّات والواقع، بلغة رمزية جمالية.

فالرّوائي يتّجه إلى التّراث الانساني في تصويره لتجربته الوجدانية الرّوحية؛ لاحتوائه على دلالات تعبيرية وفنّية جمالية متميّزة تختلج النّفس، وتسمح برسم صورة بانورامية تحلّل النّفس الانسانية والواقع معا.

ونظرا للأهمية التّي يحملها الموضوع الموسوم بـ "ميثولوجيا الذات و مركزية الحلم في رواية الخيميائي لباولو كويلو"؛ الذّي حاول رصد الجميل وتفسير الغريب، وكونه يعالج قضّية تحقيق السّعادة النّفسية التّي أهملها الإنسان المعاصر، انبثقت عنه مجموعة من الإشكاليات لعلّ أبرزها:

مادور الإنتاج الميثولوجي المسنّن نصيّا في هذه التّرسيمة السّردية ؟ وكيف احتوى السّرد الوجود البشري وسجّل زمن الكينونة؟ وكيف فتّت تيّار الوعي خوارق الذّات؟.

وقد اخترنا هذه الرّواية لعدّة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية منها:

– بعدها الإنساني العام، إذ تجلّت ضمن معانيها مختلف التّعايشات الفردية والجماعية.

– تميّزها بكيفيّات متنوّعة في توظيف المصادر والرّموز التراثية والدّينية في استخداماتها اللّغوية وأبنيتها.

– ميلي إلى دراسة التّراث العالمي، بما يحتويه من كنوز جمعت بين الغريب والجميل في تشريح الذات و تفكيك شفراتها .

ومن أجل هذا اعتمدنا المنهج النّفسي لمراودة حيل الذوات ومكاشفة عوالمها الداخلية؛ ولأنّه يخدم ما جاء في بحثنا من عناصر الخطة التّي بنيت على مقدمة و فصلين : فالفصل الأوّل المعنون بـ"عالم الذّات النّفسي" انبثق عنه تمهيد ومبحثين؛ فالتمهيد احتوى على معظم العلوم المختصة بدراسة الذات الانسانية القائمة على اللغة الأدبية الرمزية التّأويلية،أمّا المبحث الأوّل عنوانه "نظرية الإلهام" وتناولنا فيه المعاني الأسطورية في الرّواية وعلاقتها بالقوى العليا، وفي المبحث الثاني المعنون بـ"مشكلة المصير" تناولنا معنى السّفر في العرف الصّوفي وتوازيه ورحلة البطل سانتياغو.

وبالنّسبة للفصل الثّاني الموسوم بـ"سنن الحوار الثّقافي في الرّواية"، تندرج تحته ثلاثة مباحث؛ فالمبحث الأوّل احتوى "علاقة الراوي بالحضارة الاسلامية" من خلال بنية الشخصيات الرّوائية وفضائها المكاني، أمّا المبحث الثّاني فتناول"الحوار بين الثقافتين الاسلامية والمسيحية " من خلال قضيتين: الإيمان بوجود الإله، والطريق للمعرفة والسّعادة الروحية، أمّا المبحث الثّالث فوسم "بأثر السّيرة الذاتية وتناول "تعانق الذّاكرة والخيال" من خلال "المستوى الواعي" و"المستوى اللاواعي" للعقل الانساني، و"مستويات الذّات في الرواية"، ثمّ قمنا بـ"استدعاء طيف الرّاوائي باولو كويلو". وختمنا هذه الدّراسة بخلاصة لأهمّ النتائج المستفادة من هذه الدّراسة.

وعبر هذه المسيرة كان زادنا مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها: "رواية الخيميائي لباولو كويلو "كمصدر للبحث، و"الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم" لعلي زيعور، و"أساطير من الغرب" لسليمان مظهر.

وقد تعرّض البحث لجملة من الصّعوبات أهمّها تشعّب موضوع الرّواية الكبير، وتعالق مختلف العلوم داخل عوالمها السّردية؛ كعلم التّصوف والخيمياء والسّحر والتّنجيم، وعلم الميثولوجيا والأحلام، لذلك كان الوقت الممنوح قصير جدّا، فلم يمكّنا من حصر كل تلك التّعرجات المعنوية.

وفي الأخير أحمد الله عزّوجلّ على اكتمال هذا البحث وبلوغه النّهاية. وأوجه شكري وتقديري للأستاذة المشرفة الفاضلة "زهيرة بوزيدي" جزاها الله عنا خير الجزاء ، والشّكر موصول إلى كلّ من أسهم في ترتيب ذلك الشّتات العلمي، وساعد في توضيح عناصره المختلفة.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل: عالم الذّات النّفسي

تمهيد

المبحث الأوّل: نظرية الإلهام

أ- المعاني الأسطورية في الرّواية :

1- روح الكـون.

2- إكسير الحياة.

3- نرجسية الذّات.

4- البطل الواقعي.

5- البطل الخيالي.

المبحث الثّاني:مشكلة المصير

أ- السّفر الصّوفي

1- رحلة الذّهاب.

2- رحلة العودة.

تمهيد :

تنطبع الذات البشرية بلمسة غامضة معقدة، استفزت علوما شتى لدراستها ومحاولة تفسير وتفكيك طلامسها، لذلك جرى تظافر بين العلوم الانسانية المختلفة التي تهدف إلى دراستها وتحليلها؛ **كعلم النفس** الذي يدرسها من الجانب السيكلوجي، **وعلم الكيمياء الحياتية** التي تهدف إلى فهم علاقة هذا الكائن الحي الانساني مع باقي الكائنات الطبيعية الحية، **والعلم الصّوفي الروحي** الذي لا يفهم دون ردّه إلى مجموع من الخلفيات كعلوم السحر و التنجيم و السّيمياء، ويقوم هذا العلم على التّوغل في الذّات التي تنطلق من الواقع و ترتفع حتى تصل إلى المطلق، ونظرته هذه متميزة وفريدة تختلف عن رؤية العلوم الأخرى، كما لا ننسى العلم الذي لايمكن الاستغناء عنه؛ والمتمثل في **علم الميثولوجيا** الذي يقوم في البحث على الطقوس الدينية، والعبادات الوضعية التي تزعم مساعدة الذات على تحقيق آمالها وأحلامها.

ويكون مركز هذه الذات ومنطلقها أحيانا هو عالم اللاوعي الذي مصدره قوة عليا؛ فتتعالق كل هذه العلوم من أجل أن تقدم لنا عالما متكاملا للذات الانسانية، ذلك أنّ كل وجه من هذه العلوم مكمل للآخر[1] .

وقد اعتمد في كشف هذا العالم التكاملي على لغة أدبية جمالية رمزية ساحرة، تمس الانسانية ككل من مشرقها إلى مغربها؛لأن النفس واحدة في كل الأزمان مثّلتها الرّواية.

[1]– ينظر:علي زيعور:"الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ،القطاع اللاوعي في الذّات العربية"،دار الأندلس ، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص20.

عرف الإنسان منذ فجر تاريخه ميزة العبادة والإيمان، لتأصّلها وتجذّرها في فطرته وذاته الرّوحية الملهمة، والمحبّة للأسفار والتّرحال، المكوّنة والمطوّرة لشخصيته على مرّ العصور؛ والدّليل على ذلك وجود الأساطير الدينية الكونية في تراث الشعوب المختلفة الجنسيّات والأمصار، ولازالت بقايا هذه المكوّنات تسيطر على الثّقافة الانسانية بوجه عام[1].

المبحث الأوّل: نظرية الإلهام:

تعدّ نظرية الإلهام من أكبر النظريات والعمليات التي شغلت فكر الباحثين والدّارسين، لارتباطها بالجانب الرّوحاني للإنسان، حيث وقف العلم عاجزًا أمام هذا النّوع من المعارف؛ لأنّها تفوق أساليبه ومناهجه التّحليلية التّفسيرية العادية[2].

لذلك عندما نتلفّظ بكلمة إلهام يذهب تفكير المرء مباشرة إلى الجانب النفساني الوجداني من شخصية الإنسان، ذلك أنّ الإلهام عبر التاريخ في الحضارة الإنسانية ارتبط ارتباطا كبيرًا بالدّين[3].

وجاء في قاموس المحيط في مادة(ل-ه-م): « ألهمه الله تعالى خيرا: لقنّه إيّاه، واستلهمه إياه: سأله أن يلهمه»[4].

فالعلم الإلهامي هو نورٌ يقذفه الله عزّوجل في قلب المؤمن، والقلب الصّادق هو مرآة الإنسان وهو الذّي يتجّلى فيها حقيقة الحّق بالأمور كلّها[5].

---

[1]- ينظر:سليمان مظهر: "أساطير من الشّرق" ، دار الشّروق، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000 ، ص5.

[2]- ينظر: يوسف ميخائيل أسعد: "سيكولوجية الإلهام"، دار غريب، القاهرة، مصر،د.ط، د.ت، ص92.

[3]- ينظر : المرجع نفسه، ص91.

[4]- مجد الدّين الفيروز آبادي: "القاموس المحيط"، تح: أنس محمد الشّامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1، 2008، ص1491.

[5]- ينظر: حسن الشرقاوي: "معجم ألفاظ الصوفية"، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص51.

أمّا الشيخ الكبير محي الدّين بن عربي يقول:« إنّ جميع ما كتبته وأكتبه(...) إنّما هو من إملاء إلهي وإلقاء ربّاني، ونفث روحاني في روح كياني»[1] .

ويرى الإمام الشعراني أنّ العلوم الإلهامية هي:« موارد تتولّى من الربّ على خاطر العبد، والحق تعالى وهّاب على الدّوام، فيّاض على الاستمرار(...) فإذا صفا القلب حصل له من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة»[2] .

وقد تعود آراء الإلهام إلى فلسفة أفلاطون المثالية؛ الذّي اهتمّ بدراسة العبقرية وربطها بالإلهام[3]،ويقول:« إن الشّاعر أو الفنّان كائن أثيري مقدّس ذو جناحين، لا يمكن أن يبتكر قبل أن يتلقى الوحي والإلهام، فَيَفْقد صوابه وعقله، أمّا إذا احتفظ الإنسان بعقله فلن يستطيع أن ينظم الشّعر»[4].

نفهم هنا بأنّ أفلاطون جعل من الإلهام شرط أساسي للإبداع والابتكار. وقد لخص نظريته هذه في مجموعة من النّقاط بعد أن جعل من الشّعر نموذجًا على العموم وهي كالتّالي:

1. « إن الشّعراء يتلقون شعرهم من مصدر إلهي مقدس.
2. يفقدون صوابهم وقدراتهم على التّنبّه والتّمييز في لحظات الإلهام.
3. إنّ علاقة الشاعر الملهم بغيره، كعلاقة الحديد بالمغناطيس يحركّهم فلا يملكون إلاّ أن يتحركّوا ثم يتنقل إلى قطع أخرى من الحديد فلا يملك إلاّ أن يتحرّك بالمثل،

---

[1]– المرجع السّابق، ص53.

[2]– المرجع نفسه، ص53.

[3]– ينظر: حسن أحمد عيسى: "الإبداع في الفّن والعلم"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، د.ط، ع24، 1978، ص21.

[4]– أحمد عكاشة: "آفاق في الإبداع الفنّي، رؤية نفسية"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2001،ص37.

وعلى هذا النّحو ينتقل الشّاعر العبقري أثر الإلهام إلى الآخرين(...) فيطربون به دون أن يدروا لماذا.

4. لو أن العبقري احتفظ بعقله المميّز النّاقد لما استطاع أن يكتب شعرًا»[1].

ونجد العديد من الفلاسفة والأدباء يؤكدّون أنّ ثمّة لحظات في تاريخهم، صاروا فيها بحالة غير عادية، واستطاعوا عندها أن يقتربوا من الحقيقة اقترابًا وثيقًا[2]، ومثال ذلك "فيثاغورس" الذّي كان يظنّ أن تفكيره الهندسي الريّاضي، سبيل من السُبّل التّي تنقّي النّفس وتطهرّها وتجعلها قريبة من الآلهة، فكان اختراعه الهندسة[3].

وبالتالي فإنّ الحقيقة التّي اكتشفوها فجأة تمثّل حقيقة ذواتهم، وما يجب عليهم أن ينهجوه في المستقبل القريب أو البعيد.

أمّا في العصر الحديث فقد ظهرت الحركة الرّومانتيكية التّي قدمّت لنا الفنّان بصورة الرّجل الملهم؛ الذّي يتمتّع «بعاطفة مشوبة وحسّ مرهف وحدسٍ لمّاح، وبصيرة وإدراك نفّاذ، وقدرة هائلة على الابتكار»[4]،فحاولوا أن يصوّروا الإبداع الفنّي «على صورة الإلهام المفاجئ أو الوحي الإلهي، أو ما يعرف بالانجذاب الدّيني والوجد الصوفي » [5].

ويرى الرومانتيكي في العبقرية أصالة و تفردّا، حيث يفخر بمواجهة المجتمع وحيدا دون وسيط؛ وبمعنى آخر تكون الأنا المنفردة في مواجهة اللاأنا الهائلة، ويؤدي ذلك إلى تقوية الشعور والإحساس بالذات[6].

---

[1]– المرجع السّابق، ص38.

[2]– ينظر: يوسف ميخائيل أسعد: "سيكولوجية الإلهام"، ص92.

[3]– ينظر: يوسف ميخائيل أسعد: "العبقرية والجنون"، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2001، ص129.

[4]– كريمة محمد بشيوة: "النظريات المفسرة للإبداع الفنّي"،المجلة الجامعة، طرابلس،ليبيا، ع15، 2013، مج2، ص78.

[5]– ينظر: المرجع نفسه،ص78.

[6]– ينظر: المرجع نفسه، ص79.

ولذلك نجد كروتشه يقول بأن :« الفن حدس وتعبير، والفنان ليس في حاجة إلى شيء آخر سوى التعبير عن حدسه الذاتي الأصيل؛ وهذا هو السبب في أن كل عمل أصيل لابد أن يحمل تعبيرا فرديا لحدس ذاتي خاص»[1] .

كما لاننسى الأساطير التّي قد كانت ولازالت مصدر إلهام للأدباء والفنّانين، ذلك أنّها تمثّل محاولة «لتفسير الآلهة والبشر، والكون والعادات، ونظم المجتمع، وكثير منها في الواقع محاولات للتّوفيق بين قصص الآلهة والأبطال، وبين الأفكار الدينية التّي لها عند النّاس قداسة خاصّة » [2] .

نستشف في الأخير أنّ اللحظة الإلهامية تعدّ لحظة مميزة؛ لأنّها تعدّ نقطة تحوّل في حياة الملهم العبقري الذي تمثّل الميثولوجيا جزءا من حياته؛ لأنّها تساعده دائما، وتمكّنه من الوصول إلى أهدافه وغايته، لذا لا يمكنه الاستغناء عنها.

أ-المعاني الأسطورية في رواية الخيميائي:

تعد الأسطورة حصيلة الفكر البشري البدائي الغريزي عبر آلاف السنّين، لأنّها تعبّر عن الحقائق التّاريخية والاجتماعية، الثقافية ،الطّبيعية، الأنثربولوجية، وغيرها من الأفكار[3].

كما تمثّل المراحل الأولى للتّفكير الفلسفي، الذّي نشأ نتيجة التّأمل في ظواهر الكون وعلاقة هذه الظّواهر بحياة الإنسان على الأرض[4].

---

[1]- المرجع السّابق، ص80.

[2]- سليمان مظهر:"أساطير من الغرب"، سليمان مظهر: "أساطير من الشّرق"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص ص 6-7.

[3]- ينظر: مارسيل ديتان: "اختلاف الميثولوجيا"، تر: مصباح الصمد، مر: بسام بركة، المنّظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص15.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص13.

ونجد رواية الخيميائي للرّوائي العالمي "باولوكويلو" قد تناولت بعض المعاني والمفاهيم التّي لها علاقة بالأساطير القديمة؛ كقضية الرّوح الكونية، وقضية الخلود، وحبّ الذّات، والطّبيعة العجيبة الخارقة.

1. روح الكون:

لقد خلق الله جلّ وعلا هذا الكون الواسع والهائل الذّي لا تحدّه حدود، وكرّم الإنسان الذّي جعله خليفة له في الأرض بملكة العقل، ليس إلاّ ليربط الإنسان؛ الواقع بالكون عن طريق النظّر في آفاق السّماوات والأرض وما بينهما، ويتفكّر في خلق الله ، ويرصد الكائنات الموجودة في هذا الكون العظيم والواسع، ويحاول التعرّف على ما يتميز به كلّ كائن عن غيره للوصول إلى اليقين بعظمة خالق هذا الكون العظيم[1].

وقد شغلت قضية الكون والخلق الإنسان منذ القديم، فقد تساءل عن أصل الوجود وعن سّر وجوده؟، وهل هو حديث أم أزلي قديم؟.

ووضعت أفكار عديدة في هذا الصّدد، ذلك أنّ مفهوم "خالق الكون" آنذاك كان يشوبه الغموض، فظهرت أساطير كونية عديدة غلبت عليها الأفكار البدائية الغريزية، وأحداثها كانت تأملية فلسفية[2] .

وقد كانت لقصة" آدم وحواء" أيضا دور كبير في إعطاء أجوبة عن أصل خلق الإنسان؛ والذّي من تراب، فالله تعالى شكّل آدم عليه السّلام –أوّل إنسان– ثمّ نفخ فيه من روحه،

[1]– ينظر: الإمام الحافظ ابن كثير: "بداية خلق الكون:، تح: عادل أبوالمعاطي، دار البشيرة، القاهرة، مصر، د.ط، 1998، ص6.

[2]– ينظر: سليمان مظهر: "أساطير من الشّرق"، ص6.

ونفس الشيء بالنسبة للكون[1]؛ فكل شيء موجود في هذا الكون الذّي نعيش فيه يمثل جزءًا من الرّوح الكونية سواء كان حيوان أو نبات أو حتى حبّة رمل[2].

ونجد مثل هذه النظرة الفلسفية للكون متجلية في رواية "الخيميائي" للرّاوي العالمي "باولوكويلو" الذّي جعل من هذه الرّؤية للعالم تحتّل مساحة كبيرة في روايته.

إنّ الله لم يخلق هذا الكون ليتمتّع الإنسان بالنّظر إليه فقط بل« **قد خلقهُ الله ليتمّكن البشر بواسطة الأشياء المرئية، أن يفهموا تعاليمه الرّوحية وروائع حكمته**»[3].

ونجد أنّ الطبيعة تساعد الإنسان على فهم العالم أكثر من أيّ شيء آخر على وجه الأرض، ويقول الخيميائي لبطل الرّواية سانتياغو:« **يكفي أن تتأمّل حبّة رمل واحدة لكي ترى فيها كلّ عظمة الخلق**»[4]،إلا أن الحقائق لا تبيّن نفسها بسهولة « **ولا تكشف الأشياء في الحقيقة أمرًا بذاتها، إنّ النّاس هم الذّين يكشفون بملاحظتهم الأشياء، طريقة للنّفاذ إلى روح العالم**»[5]، وذلك بالاعتماد على المفتاح السّحري ألا وهو"القلب"؛أي البصيرة التي توطّد علاقتنا بالإيمان.

فعندما سأل الفتى سانتياغو الخيميائي عن السّبيل والطّريق للتّوغل في صميم الصّحراء ردّ عليه:« **أنصت إلى قلبك فهو يعرف كلّ شيء؛ لأنّه يأتي من روح العالم، وسوف يعود إليها**»[6]، ونفهم هنا بأنّ القلب هو وسيلة الإنسان في معرفة الرّوح الكونية ؛لأنّه يمثل جزءًا منها.

---

[1]- ينظر: ابن كثير: "بداية خلق الكون"، ص187.

[2]- ينظر:المرجع نفسه، ص189 .

[3]- باولوكويلو: "الخيميائي"، تر: جواد صيداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط16، 2008، ص146.

[4]- المصدر نفسه، ص146.

[5]- المصدر نفسه، ص119.

[6]- المصدر نفسه، ص146.

إن الإنسان الذّي يريد أن يصل إلى حقيقة روح العالم، يجب عليه أن يتأمّل في الكون؛ لأنّ الرّوح المطلقة تتجلّى في كلّ جزيئاته، ويجعل من قلبه هو الطريق و الوسيط في الكشف والمعرفة. ويشبه هذا النّوع من المعرفة ما تؤمن به المتصوّفة وتنهجه في تجربتها الرّوحية.

2. إكسير الحياة:

شغلت قضية الخلود الإنسان منذ القديم؛ لذلك عندما نرجع إلى العصور القديمة، نجد أنّهم تناولوا هذه القضية بِشَكْل كبير، وحاولوا إيجاد تفسير عن الموت؛ فنجد المصريين القدماء يعتقدون بأنّ الإنسان سوف يبعث ثانية بعد موته، ليحيا حياة أبدية، لذلك حرصوا على تحنيط جثث آلهتهم الفراعنة ذات المقام العالي، والذّين يؤمنون بهم. ويقال أنّهم اهتموا بفكرة الموت أكثر من اهتمامهم بالحياة نفسها[1]؛ودليل ذلك وجود لفافة تمثّل أقدم وثيقة في الحضارة الشّرقية؛ وهي رسالة يلفّها الكثير من الغموض، ذلك أنّها دليل مصري للحياة مابعد الموت؛ وتُعْرَفُ باسم" لفافة آني" التّي تُمثّل رحلة مخيفة في الحياة مابعد الموت، والتصّور الأوّل ليوم الحساب، والاختبارات التّي ستواجهه، وهذه اللّفافة تساعده وتدّله على الطّريق إلى النّجاة والخلود[2]؛ فقد آمنوا بأنّ القلب هو جوهر الإنسان ويمثّل الرّوح والذّكاء والحقيقة، لذلك نجدهم وضعوا حجر يعرف" بخنفساء القلب*"،عليها مجموعة من التّمائم* لحماية الميّت عندالسّؤال، وتمنعه من قَوْل الخطايا التّي ارتكبها، كأن يُجيب أنّه لم يفعل خطيئة لكي لا يحاسب ويتجاوز الاختبار وينجح، كأنّهم يتحايلون على الموت لكي يصلوا إلى الخلود بعد موتهم[3].

---

[1]– ينظر: شارل سنيوبوس:"تاريخ حضارات العالم"،تر:محمد كرد علي، دار العالمية للكتب والنشر،ط1، 2012 ، ص16.

[2]- ينظر: والس بدج: "كتاب الموتى الفرعوني"، تر: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، ط1، 1988، ص293.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص199.

ونجد هذه اللّفافة حاليّاً في المتحف البريطاني[1]، وتمثّل أَقْدَم وأَوَّل وثيقة دينية في العالم كلّه؛ فهي تمثّل وعد بالخلود بعد الحساب والعيش بسعادة إلى الأبد.

كما نجد أسطورة جلجامش التّي نقشت بالمسمار، فيها حشد من التّأملاّت الفلسفية والميثافيزيقية حول الموت والحياة، والعالم الآخر بجنّته وجحيمه؛ فهي مثلٌ نابض في البحث عن الخلود والحياة الأبدية[2]؛ فهي عبارة عن ملحمة انطلق فيها جلجامش بعد موت صديقه أنكيدو، في رحلة طويلة يبحث فيها عن سرّ الخلود،مع حدوث سلسلة من الأحداث الأخرى[3].

كما قد شغل هذا السر في الخلود،علماء الخيمياء المعروفين بعلماء الكيمياء القديمة؛ ونجدهم كرسوا حياتهم بكاملها، لتطهير المعادن في المختبرات« **و كانوا يعتقدون أن وضع معدن على النار لسنوات وسنوات، سيفضي إلى تحرره من كل خصائصه النوعية، ولايبقى عندئد مكانه سوى روح العالم، هذا هو الشيء الوحيد الذي يتيح للخيميائيين أن يفهموا كل ما على الأرض**»[4].

وعليه فقد لجأ الخيميائيون إلى تفسير الظواهر الطبيعية غير المعروفة لديهم على أنها ظواهر خارقة ترتبط بالسحر، وهذه الممارسة الخيميائية تلجأ إلى الرؤية الوجدانية في تعليل الظواهر .

---

[1]– ينظر: المرجع السّابق، ص5.

*– خنفساء القلب : هي حشرة تجدد نفسها بنفسها.وقد استعمل قديما حجر الخنفساء في الطلاسم والتمائم والتعاويذ السحرية لتقف مع الإنسان الميت عند محاكمته .

*– التّمائم : مجموعة من الرموز الهيروغليفية تستخدم للحماية.

[2]– ينظر: خَزْعَر الماجدي: "إنجيل بابل"، دار الأهلية، لبنان، ط1، 1998، ص ص 193، 194.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص203.

[4]– باولو كويلو :الخيميائي، ص97.

وسمّوا الإكتشاف الذي وصلوا إليه باسم:« **الإنجاز العظيم المكوّن من جزء سائل وجزء صلب**»[1]؛ وهذا الجزء السّائل-كما وظّفته رواية الخيميائي- من الإنجاز العظيم يسمّى إكسير الحياة« **لا يقتصر على شفاء كلّ الأمراض، بل يمنع الخيميائي أيضا أن يَهْرِم، أمّا الجزء الصّلب فيسمّى حجر الفلاسفة**»[2].

وحسب قول الإنجليزي في الرّواية ليس سهلا اكتشاف هذا الحجر، فالخيميائيين خسروا سنوات عديدة في مختبراتهم، يراقبون هذه النار التي تطهر المعادن، وفي النّهاية أدركوا أن تطهير المعادن أدت إلى تطهيرهم هم بالذّات[3]،«**وحجر الفلاسفة(...) يمتلك ميزة خارقة جدا، إذ يكفي جزء صغير جدا منه لتحويل كميات كبيرة من المعادن الرخيصة ذهبا**» [4].

أمّا شكل الإكسير وحجر الفلاسفة فتجلى في الرّواية من خلال الحوار الذّي دار بين الفرسان والخيميائي؛ فعندما« **وجد المحارب الذّي فتّش الخيميائي، قارورة صغيرة من الكريستال مليئة بسائل ما وبيضة من زجاج صفراء اللون لاتكاد تزيد كثيرا على حجم بيضة الدجاجة**»[5]، **سأله : ما هي هذه الأشياء؟، قال الخيميائي : «إنها حجر الفلاسفة وإكسير الحياة، وهما الإنجاز العظيم للخيميائيين، من يشرب من هذا الإكسير لايصاب بمرض البتة، وقطعة صغيرة من هذا الحجر تحول أي معدن من المعادن ذهبا**»[6].

إذن الخيميائيون اكتشفوا حجر الفلاسفة لأنّهم أدركوا أنه إذا تطور شيء ما، فإنّ كل ما حوله يتطور أيضا؛ ووظيفة الخيمياء هي إحلال الكمال الروحي على الجانب المادي.

---

[1]- المصدر السّابق، ص97.

[2]- المصدر نفسه، ص98.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص98.

[4]- المصدر نفسه، ص98.

[5]- المصدر نفسه، ص152.

[6]- المصدر نفسه، ص152.

ونستشّف ممّا سبق ذكره بأنّ فكرة الخلود قد شغلت الإنسانية ككل على مرّ العصور حتّى يومنا هذا؛ ذلك أنّ الإنسان لا يعرف ما الذّي سيواجهه بعد أَنْ يَمُوت، وهذا البحث عن الخلود يدّل على أنّ الإنسان له غريزة حب العيش، والتمتّع بملذّات الحياة.

3. نرجسية الذات:

تتحدّث الأساطير اليونانية عن شاب وسيم جدا، اسمه نرسيس أونركسيوس، ذابت بعشق وسامته الفتيات، لكن نرسيس كان عاشقًا لذاته، وكثير التمعّن بجماله المُنْعَكِس في ماء البحيرة، إلى أنْ سقط ومات فيها، وتحوّل جسده إلى زهرة النرجس الجميلة[1].

ومن هنا شاع مصطلح النرجسية الذّي استعمله سيغموند فرويد للدّلالة على حبّ الذّات المفرط، وكذلك يُطلق هذا اللّفظ على من يتعالى ويتميّز بصفة الغرور، وتعتبر في أقصاها مرض أو عقدة نفسية[2] ، لكن هناك ما يسمّى بالنرجسّية الإيجابية، والتي تعدّ مكوّن مهم من مكوّنات بناء كل إنسان ناجح، حيث أنّ اتصّاف الفرد بِنفس معتدلة من النّرجسية تساعد على تطورّه وتفردّه[3].

ونجد هذه الحكاية النّرسيسية متجليّة في رواية الخيميائي، لكن نهايتها تختلف عن النّهاية الأولى للأسطورة اليونانية.

ففي الرواية وضع كويلو نهاية "أوسكار وايلد" وملخصها :عند موت نرسيس، جاءت الأورياديات، ربّات الغابات إلى ضفّة البحيرة، ذات المياه العذبة، وجدوها تحوّلت إلى دموع فسألت الأورياديات البحيرة: لم تبكين؟، فأجابتها: أبكي من أجل نرسيس، وهذا لم يدهشها؛ لأنّه كان جميلاً، وبعد حوار طويل دار بينهما، سألت الأورياديّات البحيرة عن جمال نرسيس، فعرفت أنّ البحيرة لم تكن تعرف أنّه جميل، ولم تكن تبكي عليه من أجل جماله،

[1]– ينظر: عبد الرقيب أحمد البحيري: "الشخصية النّرجسية"، دار المعارف، أسيوط، ط1، 1987، ص13.

[2]– ينظر: بيلاغرانبرغر: "النرجسية"، دار المعارف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 2000، ص12.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص13.

بل تبكي من أجل نرسيس لأنّها في كلّ مرّة ينحني فيها على ضفافها، ترى انعكاس جمالها الخاص في عمق عينيه[1].**ويختم الخيميائي بقوله:« يا لها من حكاية رائعة!»**[2].

نفهم من هذه القصّة أنّ الكون عامّة والطبيعة على الخصوص تفيض بجمال لامثيل له؛ ذلك أنّ الكائنات كلّها متّصلة بعضها ببعض؛ فالجمال الذي تظهره الكائنات بأنواعها، ينبثق من تركيبها الداخلي المتمثّل في جزء الخالق؛ وعليه فهو يحيلنا إلى أنّ الجمال المتجلّي أمامنا هو في الأساس جمال خالقها الذّي لامثيل له .

4.البطل الواقعي:

وراء كلّ أسطورة هدف أو رسالة مشفرّة، تخصّ الفرد الواحد، ومن واجبه السّعي إلى تحقيقها؛ لأنّ تحقيقها يعدّ سعادة أبدية، أمّا التّخلي عنها وتحاشي السّعي إلى تحقيقها، وخلق الأعذار للنّفس هو باب للإخفاق والضّياع في هذه الحياة ذلك أنّها تمثّل مهمة الإنسان على هذه الأرض [3].

فهذا النّوع من الأساطير يختلف عن النّوع العجيب الخيالي الخارق للعادة المشار إليه سابقاَ، ذلك أنّ هذا الصّنف يتمثّل في الواقع المعيشي، وتخصّ كلّ إنسان موجود على سطح الأرض، فكل شخص له أسطورته الشخصية الخاصة به.

ونجد الرّاوي "باولوكويلو" قد جعل من هذه الأسطورة الشخصية عمودًا لروايته؛ وجعلها منبرًا للتنظير لهذه الفكرة الأسطورية الذّاتية، وتناولها بالتّفصيل والتّفسير والشرح، وجعل من كلّ شخصّيات الرّواية وأحداثها، أدوات ووسائل لتجسيد هذه الفكرة وإبرازها.

---

[1]– ينظر: باولوكويلو: الخيميائي ،ص ص 13، 14.

[2]– المصدر نفسه، ص14.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص37.

كما عرض لنا مفهوماً لهذه الأسطورة، ووضّح ماهيّتها من خلال الحوار الذّي دار بين "بطل الرّواية" و"الحكيم "ملكي صادق" شارحا هذه الأسطورة الذّاتية للفتى:« **هي ما تَمَنَّيْت باستمرار أَنْ تَفْعَلَهُ، إنّ كُلاًّ منّا يعرف في مطلع شبابه ما هي أسطورته الشخصية، ففي تلك المرحلة من الحياة يكون كلّ شيء واضحاً وممكناً، ولا نخاف أن نحلم بكلّ ما نحبّ أن نفعله في الحياة، بيد أنّ قوّة غامضة تحاول مع مرور الوقت أن تُثْبِتَ أنّ من المستحيل تحقيق أسطورتنا الشخصية**»[1]،لم يفهم الرّاعي كلام الحكيم، لكنّه أراد أن يعرف ما هي تلك القوى الغامضة، ففسرّها له الشّيخ بقوله:« **إنّها تبدو قوى سيئة، ولكنّها تعلّمك كيف تحقّق أسطورتك الشّخصية، وهي التّي تهيء عملك وإرادتك**»[2]، ثمّ قال له حكمة بليغة سمّاها الحقيقة الكبرى في العالم وهي:« **أيّا تكن، ومهما تفعل، عندما ترغب حقًّا بشيء ما، فإنّ تلك الرغبة تولد من روح الكون هذه هي مهمتّك على الأرض**»[3].

نلاحظ من خلال الرّواية أنّ بطل الروّاية سانتياغو سعى إلى تحقيق أسطورته الشّخصية، رغم الصّعوبات والقوى الغامضة التّي وقفت كحاجز بينه وبين هدفه؛ إلاّ أنّه لم يستسلم لها، ولم يخضع، بل كلّ فشل يحوّله إلى نقطة قوّة، ويقوم بصقل شخصيته، مثلما حصل عندما سُرِقَ في طنجة ؛ عمل عند تاجر بيع البلّور، وابتكر وأبْدع، و لم يستسلم لتلك الظروف. وهذه هي سمات الأشخاص النّاجحين والعبقريّين، فهم دائماً يسعون إلى تحقيق أهدافهم وأسطورتهم الشّخصية، مهما كلّف الأمر ، ويحوّلون نقطة ضعفهم إلى نقطة قوّة.

نفهم ممّا سبق أنّ الأسطورة الشّخصية هي سبيل الإنسان لتحقيق سعادته الأبدية، وواجب وضرورة عليه السّعي إلى تحقيقها؛ لأنّها تُمثّل مهمتّه الأسمى في الأرض، ولم يجسد كويلو البطل خارقا ضمن عالم الخيال والأعاجيب، بل جعله بطلا حقيقيا يكمن في كل ذات تقطن هذه المعمورة.

---

[1]- المصدر السّابق، ص37.

[2]- المصدر نفسه، ص37.

[3]- المصدر نفسه، ص37.

5.البطل الخيالي:

إعتمد الأدباء والشعراء منذ القديم على توظيف مثل هذا النّوع من البطولات الخيالية العجيبة والخارقة للعادة؛ونجدها ممّثلة في الأساطير والملاحم القديمة؛تارة يكون البطل نصفه إله،ونصفه حيوان أو نصفه الآخر إنسان وغيرها من التّوظيفات التّي أصبحت تعدّ خرافات واندثرت، على عكس توظيف الأدباء "للطبيعة" التّي وُظّفت منذ القديم، ومازالت إلى يومناهذا توظف في الحكايات والقصص، وتمثل عمودا لها[1]،وفضاء تدور في فلكه أحداثها.

فقد لعبت "الطّبيعة" دورًا كبيرًا وفعّالاً في حياة الإنسان قديمها وحديثها؛ فهي تعد منبعا للمعرفة والحقيقة، كما شغلت فكر الإنسان، لما تتميّز به من جمال خلاّب يَسْحُر العُيُون والقلوب[2].

وحسب رواية الخيميائي، تعدّ الطّبيعة جزءًا من الرّوح الكونية المطلقة؛ فإذا اتّحد الإنسان مع الأجزاء والقوى الموجودة في الطبيعة، سيستطيع عندها أن يتوّغل في هذا العالم.

وقد حاول بطل الرواية سانتياغو،أن يتعلم لغة الإشارات خلال رحلته في البحث عن الكنز، وفي طريقه هذه صادفه موقف عصيب تطَلّب منه الأمر، أَنْ يطلب المُسَاعَدَة من قوى الطّبيعة، من أجل أن يتحوّل إلى ريح لإنقاذ نفسه وصديقه الخيميائي، فحياتهما مرهونة بتحوّله إلى ريح، فدار حوار بين البطل سانتياغو وبين قوى الطّبيعة الثلاث:" الرّياح والصّحراء والشّمس" عن طريق لغة الكون والإشارات، التّي تعلّمها في طريقه للبحث عن الكنز، وفي نهاية الحوار استطاع الفتى أن يقنعهم بمساعدته، بعد أن سمح لها الخالق: « **فأطلقت الرّيح صيحة رضى، وهبّت على نحو لا مثيل له من قبل، فَاقْتَلَعَتْ الخيام المنصوبة فوق الرّمال، بينما كانت الحيوانات تتحرّر من رباطها، وتمسّك الرّجال فوق**

[1]– ينظر: ميرسيا إيلياد: الأساطير والأحلام والأسرار، تر: حسيب كاسوحة، وزارة الثقافة، دمشق ، سوريا، 2004، ط1، ص261 .

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص261.

الصّخرة(...) خوفًا من أن تحملهم الرّيح معها»[1]، واستدار الفتى عندئذ إلى اليد التّي كتبت كلّ شيء، ولم ينطق بكلمة لأنّه انتبه أنّ الكون كلّه ظل صامتًا فصمت كذلك[2].

« **سوف يروي العرب لعدّة أجيال أسطورة فتى تحوّل ريحًا وكاد يُزيل مُعَسْكَرًا من الوجود»**[3]، وفي تلك اللّحظة كان الكلّ خائفًا من الذّي حدث إلاّ شخصين كانا يبتسمان:«**الخيميائي لأنّه وجد تلميذه الحقيقي. والقائد الأعلى؛ لأن هذا التلميذ قد تناهى إلى سمعه مجد الله»**[4]، ووصل إلى درجة عالية وراقية.

فقد كانت الطّبيعة في ظلّ هذه الأحداث هي البطل المُنْقِذ الذّي يمتلك قدرات خارقة، تفوق قدرات الإنسان كثيرًا، لكنّها لاتستطيع أن تأخذ قرارًا من تلقاء نفسها؛ بل كلّ شيء فيها هو تحت سلطة فعل "كن".

وإذا حاولنا أن نتعمّق في قصد الرّوائي من هذا المشهد، نصل إلى أنّه جسّد لنا النّهاية الصوفية للسّالك؛ والتّي تُعرف بمرحلة العِرفان والإتّصال بالمطلق، وهي أَسْمى المراتب في رؤية المتصوّفة.

وعليه فإنّ الطّبيعة تعدّ مكوّنا أساسيا من مكوّنات الإنسان البشري بامتياز وعلامة كينونته و هيمنته.

المبحث الثّاني: مشكلة المصير :

أثبت الفرد البشري قدرته في خلق الطارئ والمتحوّل، وسعى بكلّ ما أوتي من قوة، يؤكد مجالات النجاح والتكيف مع الطبيعة، حيث برهن هذا الكائن العاقل والفاعل على متغيرات لاحقة، وسّعت ضائقة الوعي والإدراك؛لأنّ برنامجه الحياتي أساسه البحث بتحليل المعطيات

[1]- باولوكويلو: الخيميائي ، ص ص 169، 170.
[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص170.
[3]- المصدر نفسه ، ص171.
[4]- المصدر نفسه ، ص171.

وإعادة صياغتها من جديد، ليصبح لوجوده معنى مستساغ، ضمن رحلة الأنا المتميزة بروح المغامرة و الرافضة لكل أشكال الضعف والهوان والفشل.

أ-السفر الصوفي:

تبوّأ السفر منذ الوجود مكانة بارزة، ومتميزة في حياة المفكرين والعلماء والفلاسفة، وبالأخص المتصوفة إذ شكل محطات جوهرية ومصيرية في حياتهم، وكثيرا ما كان حلا لمسائلهم الفكرية التي غيرت نظرتهم للحياة، لذلك يعد السفر جزءا تكوينيا للإنسان على العموم[1].

- يدلّ السّفر في العرف الصّوفي على الانكشاف و الجلاء؛ لأنّه يعدّ« سياحة روحية في ملكوت الله » [2] في نظرهم، كما يمثل شرط أساسي لتحقق شعائرهم المقدسة.

- ويقول فيه أبوطالب المكي:« إذا سنح للمريد سفر فإنه في الحديث، البلاد بلاد الله عزّوجل والخلق عباده» [3] ؛ فالله سخّر الكون لعباده ليصلوا إلى المعرفة بقدرته وعظمته، ومنهجهم في المعرفة هو المفتاح الروحي، لذلك نجدهم يميلون للأسفار.

- يقول أبويعقوب الصوفي: « إنّ المسافر يحتاج إلى أربعة أشياء:علم يسوسه، وورع يحجّره، وجد يحمله، وخلق يصونه»[4]؛ فالصوفي هو الذي ينهج طريق الله، ويطبق تعاليمه بحذافيرها في جميع مجالات حياته، ويبتعد عن كل الشهوات التي تلهيه، وتبعده عن طريق الحق.

---

[1]- ينظر: ساعد خميسي:"ابن عربي المسافر العائد"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص130.

[2]- حسن الشّرقاوي:"معجم ألفاظ الصّوفي"، ص174.

[3]- أبوطالب المكّي: "قوت القلوب في معاملة المحبوب"، تح: باسل عيون السّود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص473.

[4]- حسن الشّرقاوي: "معجم ألفاظ الصوفية" ، ص174.

– كما لاننسى الشيخ الصوفي الأكبر محي الدين بن عربي ،الذي يمثّل السّفر الصّوفي بامتياز ذلك« أنّ حياته في حدّ ذاتها جسّدت أهمية السّفر في طلب العلم، وفي البحث عن الفتوحات الربانية » [1]،و السّفر عنده هو حركة، يجب أن تكون فيها كل حركاتنا كما يحب الله، لذلك ينبّه بقوله:« **وعلى الحقيقة فلا نزال في سفر أبدا من وقت نشأتنا ونشأة أصولنا إلى مالانهاية له، وإذا لاح لك منزل تقول فيه هذا هو الغاية انفتح عليك منه طريقا آخر**» [2] ؛ فهو يرى أنّ حياة الانسان كلّها سفر من ميلاده ونشأته إلى القبر، ويصل أخيرا إلى السّفر الدائم عالم الخلود.

– وفي نظر الإمام الغزالي السّفر أو الرّحلة هي حركة ومخالطة، مقرونة بالتعب والمشقة، ففي نظره الإنسان لايتّخد قرارا بالسفر إلاّ إذا كان هناك غرضا مايلزمه بالتحرك، فالغرض هو المحرك له[3].

وعليه فالسّفر هو وسيلة لتربية النفس وتهذيبها وتطهيرها، وكلمّا ترقت النفس الانسانية كلما اقتربت من الله ، وحققت غايتها في الوصال والكمال.

– ومثال السّفر الشّاق المشار إليه سابقا؛ الإنجليزي الذّي قرأ كتبا كثيرة حول علم الخيمياء؛ إلاّ أنه لم يصل إلى كيفية الحصول على الإنجاز العظيم على رغم تعبه الكبير، نجده يقول: « **وها أنا أبدأ الآن بما كان ينبغي أن أبدأ قبل عشر سنوات، ولكنني سعيد لأنني لم أنتظر عشرين سنة**» [4]،على عكس البطل سانتياغو الذي شاء قدره أن يلتقي بخيميائي،علّمه كيفية التّوغل في الكون وتعلم لغته السرية، وعلم الخيمياء، والتّرقي إلى مراتب عليا.

---

[1]– ساعد خميسي: "ابن عربي المسافر العائد"، ص130.

[2]– محي الدّين ابن عربي:"الإسفار عن نتائج الأسفار"، جمعية دار المعارف العثمانية، حيدرآباد الدّكن، ط1، 1948، ص7.

[3]– ينظر:عبد الرّزاق الموافى: "الرّحلة في الأدب العربي"، مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط1 ،1995، ص26.

[4]– باولو كويلو: "الخيميائي"، ص117.

ولايمكن أن نذكر التيار الصوفي ولانذكر الصّلاة، ويقول فيها ابن عربي: « **الصّلاة الحقيقية هي مشاهدة** » [1]، ونكتشف تلك السلامة الداخلية مع تفاصيل الكون؛ في الحوار الدّاخلي الذّي وظّفه السّارد إذ يروي أنّه عندما انبثق من أعماق البطل سانتياغو:« **فيض من الحب انبثق من أعماقه فانصرف إلى الصلاة، كانت صلاة لم يسبق أن أدّاها، لأنها بلا كلام ولأنه لم يطلب من خلالها شيئا،(...)إنّ هذه اليد تدرك العلة التي من أجلها خلقت الكائنات؛ هي وحدها قادرة على صنع المعجزات، وتحويل المحيطات صحاري، والرجال رياحا** » [2]، وعندها« **توغل الفتى في روح العالم ورأى أن روح العالم هي في روح الله وأن روح الله فيه، وبات باستطاعته منذ الآن أن يجترح المعجزات** » [3].

فهذا المشهد وضّح طريقة "باولو كويلو" البديعة في اختراق عالم الشخصية العميق والباطني، محوّلا تيار الأحداث عبر الفضاءات المتنوعة، ومتنقلا من زاوية إلى أخرى، دون شعور القارئ بالملل أو حدوث أي خلل، بحيث تتراءى الموجودات الواقعية، متظافرة بطريقة مناسبة وآلياتها الداخلية؛ لأنّ« **العيون تعكس قوة الروح** » [4]، فتتجلى الحقائق ضمن وعاء الإشارة التي فقهها المسافر الفطن، بعدما عقل مركّبات الكون الواسع؛ لأنّ سانتياغو لم يكن بطلا خارقا خرافيا، بل يمكن تسميته بالمتحدي العاقل والعارف المطيع، الذي تحوّلت حياته بانفعال كيميائي إلى وجود غائي متسامي.

وعادة مايكون السفر بدنيا، يتجاوز عن طريقه المسافر معوقات الجغرافيا المتنوعة، ويبصر أحوالا وحيثيات غريبة، يتمتع بها أحيانا و تخيفه أحيانا أخرى، فينقلها في كتب أدبية شبيهة بالأقصوصات النادرة، تلقى إلى أفهام المتلقين لعلّهم يفيدون بها الدارس المتخصص

---

[1]– كرم أمين أبو كرم: "حقيقة العبادة عند محي الدّين بن عربي"، دار الأمين ، القاهرة، مصر ، ط1، 1997، ص158، نقلا عن :ابن عربي: تفسير القرآن الكريم، ج1، ص83.

[2]– باولو كويلو :"الخيميائي"، ص170.

[3]– المصدر نفسه، ص170.

[4]– المصدر نفسه، ص155.

والهاوي، من خلال تحليل الإبداعيين؛ فالأول متعلق بالتّحول عن الأرض الأصلية للمسافر، والثاني يوضّح مقدرته في صياغة الأحداث المشاهدة[1].

ويكون بذلك قد مرّ بمجموعة من التجارب الغامضة والمفهومة، غالبا ماتوصف بالقضاء و القدر، قد تعينه في أغلب الأحيان على توحيد قدرة البصر والبصيرة.

1-رحلة الذهاب:

بدأت رحلة البطل سانتياغو المصيرية إذ قرّر تجسيد حلمه، فاختار أوّلا بذلك مهنة الرعي، رافضا إملاءات الأهل، وتقاليد المجتمع، وسعى إلى تحقيق ذاته بعيدا عنها في صورة تجربة شخصية وواقعية من الأندلس التي تمثل موطنه، متجها إلى طنجة المغربية التي وصفت معالمها وبعض عاداتهم وتقاليدهم، وهذه بعض النماذج:

-عندما أراد سانتياغو شرب النبيذ في مقهى مغربي أخبره الغريب الذي إلتقى به أنّه : « **لايوجد نبيد في هذه البلاد لأنّ الدّين يحرّمه**» [2] ، فهذا وصف لحقيقة تحريم الخمر عن الشعوب الإسلامية.

- وبينما كان البطل في المقهى مع هذا الغريب جالسا، حاول صاحب المقهى مساعدته وإخباره أن صديقه الجديد سارقا لكنه لايفهم اللغة العربية،فاستغل السّارق ذلك وعكس الحقيقة على صاحب المقهى، فقال له:« **إنه يطمع بمالك، فطنجة ليست كسائر مناطق أفريقية، نحن هنا في ميناء والموانئ جميعها مغارات ولصوص** » [3]،فهو لم يكذب عليه في هذا الجانب فطنجة مشهورة باللّصوص ومعروفة بهم، وعندما سرق البطل، قال الرّوائي واصفا السّوق المغربية:« **مازال كل شيء حواليه:السوق والناس يروحون ويجيؤون ويصرخون ويشترون السّجاد، (...)،كذلك لاتزال الخضر قرب الصّواني النّحاسية،(...) و النّساء**

---

[1]- ينظر:حسين محمد فهيم:"أدب الرّحلات"،عالم المعرفة، الكويت، ع138، 1989، ص ص 18، 19.

[2]- باولو كويلو: "الخيميائي"، ص50.

[3]- المصدر نفسه، ص51.

المحجّبات وتوابل الطّعام الغريبة » [1].

– كما وصف لنا مشهد مارأته عينه فيقول:« **بعد برهة صعد رجل إلى أحد تلك الأبراج الشّهيرة وبدأ يؤذّن، ركع الموجودون في المكان جميعهم وراحوا يصلون بعد ذلك، ومثل خلية نمل تعمل نزعوا الأكواخ الخشبية وغادروا »** [2]؛ فهم يتجهون للصّلاة عند سماع الأذان هذه عادة من عاداتهم.

ثم يتّجه سانتياغو بعد ذلك إلى واحة الفيوم سعيا للوصول إلى الكنز الذي حلم به، وتحتضنه الصّحراء التّي وصفت لنا بالإنفتاح والإتساع اللاّمحدود في عدّة مواضع نذكر بعضها:

– « **تبدو الصّحراء تارة من رمل وتارة من حجارة، وكلّما بلغت القافلة كتلة صخرية دارت حولها، وإذا كانت الكتل الصّخرية مكدّسة قامت بدورة أوسع**»[3]، فهذا وصف جغرافي لهذا الفضاء الواسع.

– ويتابع السّارد وصفه الدّقيق لخصوصيات الصّحراء، فيقول:« **تتلاقى القوافل أحيانا في فترة المساء حيث تتبادل المساعدات كما لو أنّ كلّ شيء مكتوب بيد واحدة، ويتبادل الجمّالون المعلومات عن العواصف الرّملية، ويجتمعون حول المواقد يروون حكايات الصّحراء**»[4].

– ويقول فيهم أيضا:« **وفي بعض الأحايين كان يأتي أيضا رجال غامضون ملثّمون، هم بداة يراقبون المسالك التّي تعبرها القوافل، ويقدّمون معلومات عن اللّصوص والقبائل المتمرّدة، يأتون وينصرفون بهدوء، متلفّعين بجلابيبهم الدّاكنة ولثمهم الشاشية التّي**

---

[1]–المصدر السّابق، ص52.

[2]–المصدر نفسه، ص ص 52، 53.

[3]– المصدر نفسه، ص92.

[4]– المصدر نفسه، ص94.

تحجب كلّ عيونهم » [1]،هذه الصّحراء الموصوفة عمدا، غرضها توضيح معنى انقطاع الزّمن المشكّل لسيرورة الأحداث؛ فالشّساعة والإتّساع دليل على واجب خلق الظروف المواتية، تعين القاطن بها في العيش، وتمكّنه من تذليل صعوباتها؛ فهو حركة دائمة نحو التّغيير من أجل البقاء، كما أنّ الزّمن المنقطع أو المنفصل؛ زمن يناسب التّدرج الصوفي في تعبئة النّفس بشحنات إيجابية تفتح مغاليق الأشياء، وتبيح فرصة التّعالي والسّمو الرّوحي دون تقييد أو تعويض.

– كما قام بذكر أسماء خاصّة بعرف الشّرقيين في قوله:« **للرّيح عدّة أسماء هنا يسمّونها الشّلوق(sirocco)؛ لأنّ العرب يعتقدون أنّها تأتي من الأراضي التّي تغزر فيها المياه ويسكنها البشر ذوو بشرة سوداء** » [2]، وهذه إشارة إلى لون بشرة أهل الصّحراء وتأثير المناخ على طبائعهم وسلوكياتهم.

– تحيلنا هذه النّماذج الوصفية الجغرافية لهذه المناطق العربية إلى أنّ سفر البطل سانتياغو الأوّلي كان بدنيا مادّيا؛ لأنّه يصف عادات وتقاليد وبعض الأسماء المميّزة لتلك المناطق، إلاّ أنّ سحر السّفر طغى على البطل فجرى تحوّل مغاير وجديد في شخصيته.

– فقد أصبح أكثر ثقة بنفسه، وأصبحت له نظرة عميقة في رؤية الأشياء؛ فبعد أن كان يستكشف العالم بعقله وبدنه فقط كأغلب المسافرين، أصبح يستكشفه بقلبه وروحه، وهنا بدأت رحلته المعنوية الرّوحية، وهذه بعض النّماذج التّي توضّح ذلك:

– عندما حاول سانتياغو فهم لغة الإشارات؛ التّي تعدّ لغة الربّ في نظره، من خلال التّأمل في الكون، استطاع أن يتعلّمها في النّهاية، فيقول الرّوائي كويلو عنه:« **ظلّ(...)يتأمّل الصّحراء،أصغى إلى قلبه وأصغت الصحراء إلى الخوف الذّي يسكنه. كان كلاهما يتكلّمان**

[1]– المصدر السّابق، ص94.

[2]– المصدر نفسه، ص165.

لغة واحدة » [1]، فقد كان قلبه هو دليله؛ لأنه العارف الذّي يمثّل جزء من الرّوح الكلية المطلقة، ويمتلك قدرة التّواصل مع باقي الكائنات الحيّة كيميائيّا وسيميائيّا.

– وعندما أراد الفتى سانتياغو معرفة « **ماالذّي كان مدوّنا على لوح الزّمرد**»[2]،سأل الخيميائي؛ فقام بالرّسم على الرّمل لثواني، ثمّ تقدّم البطل لقراءة ماكتب، وشعر بالخيبة وقال:« **هذا رمز من لوح الزّمرد، لكأنّه يشبه مارأيته في كتب الإنجليزي** » [3]، ثمّ انتبه أنّ هذه الأشياء لاتفهم سطحيّا، فقال:« **لا إنّه يشبه تحليق الصّقور؛ ويجب ألاّ يفهم بالمنطق وحده إنّ لوح الزّمرد هو ممرّ مباشر نحو روح العالم** »[4].

نلاحظ أنّ البطل أصبح أكثر تعمّقا في رؤيته للأشياء، ووصل إلى نتيجة أنّ المفاهيم الرّوحية لاتفهم بالمنطق العلمي بل بالمنطق القلبي، وبدأ مساره الجديد وتتبّع قلبه؛ فترقّى بنفسه من درجة إلى أخرى، إذ علّق على الأشياء بطريقة استرجاع مامرّ به من أحداث، فراح يفهم ويستنتج، بعد ما يربط الأشياء بمتمّماتها بمنهج تأويلي، يؤكّد خضوعه لامتحان الخيمياء الشّهير؛ فتعلّم علم الخيمياء، وفهم معنى الإشارات السّرية، ووجد الفتاة التّي كان يبحث عنها باستمرار؛ باستخدام نفس المفتاح الرّوحي السّحري ألا وهو "القلب".

2-رحلة العودة:

بدأت رحلة الإياب عندما علم البطل بمكان الكنز الحقيقي؛ فبعد مرور سانتياغو بكلّ تلك الأمصار التّي ذكرناها في سعيه، وصل إلى الأهرامات المصرية أخيرا، فبدأ بالحفر في النّقطة التّي حلم بوجود الكنز فيها،« **إنّ أيّ مسعى يبدأ دائما بحظّ المبتدئ وينتهي دائما**

[1]– المصدر السّابق، ص162.

[2]– المصدر نفسه، ص145.

[3]– المصدر نفسه، ص146.

[4]– المصدر نفسه، ص146.

باختبار المقتحم» [1]، وفجأة ظهرت أمام البطل عصابة أخذوا منه كلّ مايملكه، وأجبروه على إكمال الحفر دون أيّ نتيجة،« **إنهالوا عليه ضربا، ضربوه حتّى أرسلت الشّمس أولى شعاعتها، كانت ثيابه ممزّقة، وكان يحسّ أنّ الموت قريب منه ، فماذا ينفع المال إذا كنّا سنموت؟ من النّادر جدّا أن يتمكّن المال من إنقاد أحد من الموت ...** » [2].

لم يشكّك البطل أبدا في الرّؤيا التّي رآها؛ أنّها كاذبة، وعلى الرّغم من الجروح التّي ملأت جسمه، يحاول أن يخبر العصابة بحلمه بالكنز المدفون قرب الأهرامات المصرية، فقال له زعيم العصابة:« **لن تموت، ستعيش وتتعلّم أنّه لاينبغي لنا أن نكون على هذه الدّرجة من الغباء. هنا بالضّبط حيث تقبع أنت رأيت حلما قبل سنتين تقريبا، راودني غير مرّة. فقد حلمت أنّ عليّ أن أسافر إلى إسبانيا، وأبحث في الرّيف عن أطلال كنيسة يتردّد إليها الرّعيان(...) حلّت فيها شجرة جمّيز (...)إذا حفرت عند جذع الشّجرة أجد كنزا مخبّأ** » [3]، فعندما تقع أمام الإنسان كنوزا كبيرة لاينتبه لها ولا يتبيّنها« **أوتعلم لماذا؟لأنّ النّاس لايؤمنون بوجودها**» [4] ، وهذا القانون الحياتي البسيط ينطبق على كلّ الانسانية مهما كان نوعها، وهنا يكمن السّر في تحقيق البطل أسطورته الشّخصية ،على عكس زعيم العصابة الذّي استهزئ بحلمه فيقول:« **لست على هذه الدّرجة من الغباء لكي أجتاز الصّحراء بكاملها، لمجرّد أنّني رأيت الحلم نفسه مرّتين** » [5]، فقد خسر كنوزا كثيرة بعدم إيمانه هذا، وهذا هو الغباء الحقيقي بعينه.

والملاحظ أنّ الزّمن مرتبط دائما بطول المدّة(سنتين)، وفي ذلك تعويل على فقه التّراكم المعرفي الذّي تتّصف به حضارات الشّعوب، التّي استطاعت تخليد قوّتها الفكرية والمادّية

---

[1]– المصدر السّابق، ص151.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 180 ،181 .

[3]– المصدر نفسه، ص181.

[4]– المصدر نفسه، ص153.

[5]– المصدر نفسه، ص181.

في سجلاّت التّاريخ ، وذلك يقاس طبعا بذكاء الأفراد المشكّلين لهذه الحضارات والأمم.

فعاد البطل إلى بلده الأصلي الأندلس، وقلبه مفعم بالفرحة والسّعادة لأنّه وجد كنزه الذّي آمن بوجوده، فقد تحقّق الحلم. فعندما وصل إلى الكنيسة التّي تخفي الكنز، بدأ يتأمّل مع نفسه ويتذكّر كلّ المسالك التّي مرّ بها حتّى وصل إلى هذه النّقطة، فردّد في نفسه:« **إنّ اللاّئحة طويلة جدّا،هذا صحيح، ولكنّ الطّريق كانت موضّحة بالإشارات ولم يكن بإمكاني أن أضلّ السّبيل** » [1]،عندما يكون الإنسان مع الله سيكون كلّ شيء معه و العكس صحيح،« **إنّ الحياة في الحقيقة سخيّة مع من يعيش أسطورته الشّخصية** » [2] كما يقول البطل.

فأخذ سانتياغو يحفر بجنب الشّجرة، وأخرج كنزه الذّي ركب الطّريق لأجله منذ البداية، فقرّر أن يعطي العجوز الغجرية حصّتها، وقال في نفسه:« **كم هم أذكياء هؤلاء الغجر!... ربّما عزي إلى أنّهم يرحلون باستمرار** » [3]،ثمّ يذهب إلى فاطمة ليتزّوج بها ويكون بذلك حقّق جلّ أحلامه.

نلاحظ ممّا سبق ذكره أنّ صيرورة الحبكة في الرّواية دائرية تتوالد فيها الوقائع بشكل تعاقبي؛ فنقطة البداية هي نقطة النّهاية وهذه خاصّية تميّز بها الرّوائي كويلو، لأنّه كسر أفق توقّع القارئ، بطريقة إبداعية ساحرة، خارقة للعادة، تشكّل على النّحو الآتي:

---

[1]- المصدر السّابق، ص185.

[2]- المصدر نفسه، ص186.

[3]- المصدر نفسه،ص186.

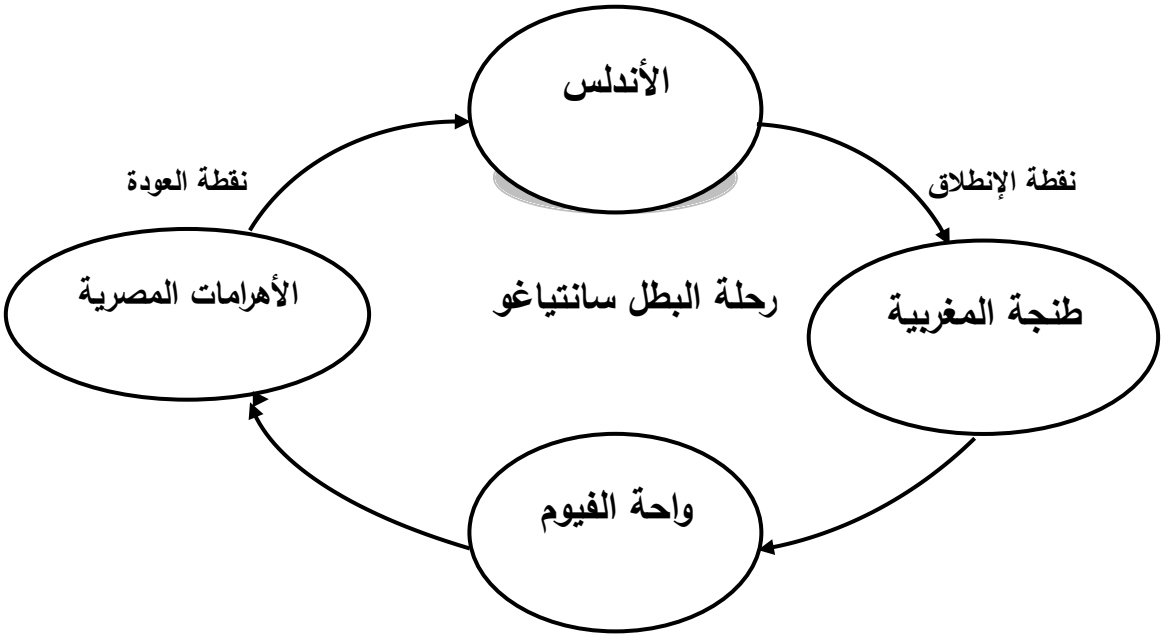

فهذه الشّخصية أسقط الرّوائي عليها كلّ المعاني التّي تختلج الذّات، ويشترك فيها الكل مهما كانت هوّيتهم؛ فالسّفر أكسبه العديد من الخبرات والعلوم الثّمينة التّي لاتقدّر بثمن، وصقل شخصيته، فصار بطلا قويّا واثقا بنفسه، وساعده في ذلك طبيعة شخصيّته المحبّة للأسفار والمطالعة؛ فالحلم الذّي اختاره الرّوائي ناسب طبع البطل المقبل على الحياة، و المحب لفنون التّحديات؛ وإنّه بالفعل شخصية حالمة إنفعالية.

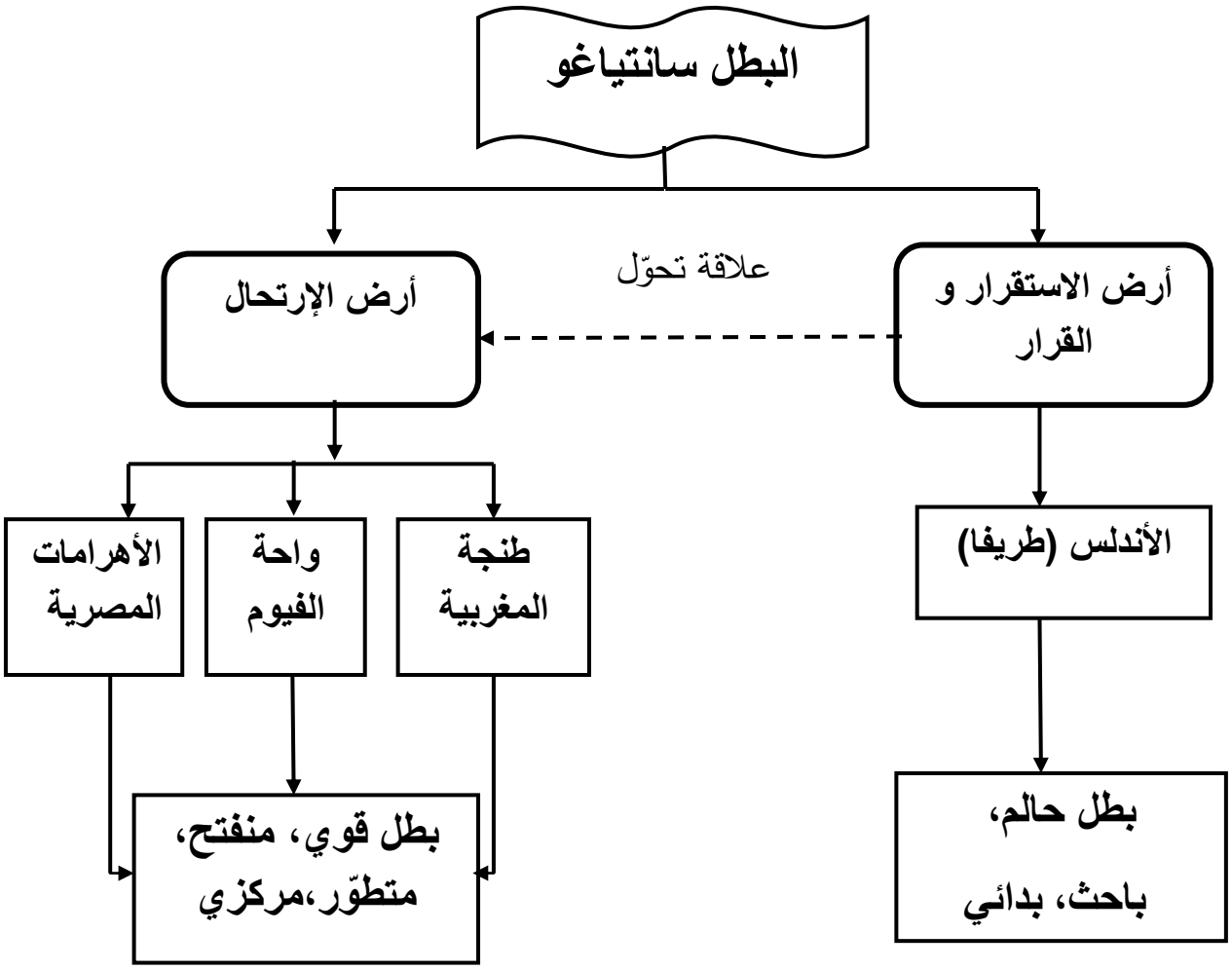

لايستوي البشر في تسخير القدرات، ولا حتّى في امتلاكها، لذلك نرى القويّ والضّعيف، الغنيّ والفقير، الشّجاع والجبان، لكنّ المفروض والواجب هو توحيد مجهودات الكائن من أجل بتر العلاقة مع التّهميش، والحلول مركز الأشياء؛ لأنّ هذا هو الطّبيعي دون زيادة أو نقصان، وحتّى يصدر المتطفّلون مراتب القيادة، لايمكن أن تنتظر الحظّ والفرص؛ فالحياة ليست منحة إنّها امتحان ومحن، تصقل قدرات الفرد وتشدّ عوده، ليصبح أكثر استجابة وانسجام مع روح الكون الخالدة.

الفصل الثّاني

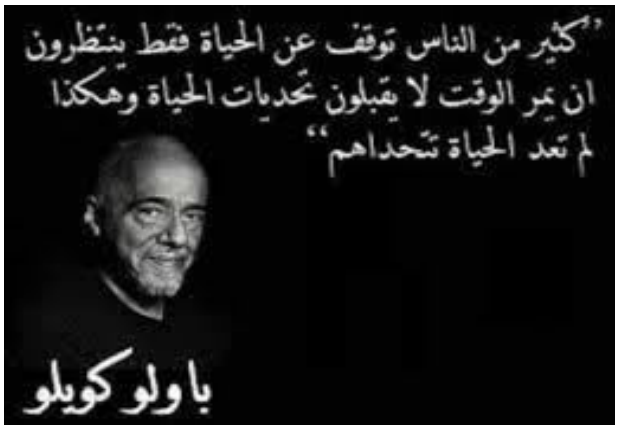
"كثير من الناس توقف عن الحياة فقط ينتظرون
ان يمر الوقت لا يقبلون تحديات الحياة وهكذا
لم تعد الحياة تتحداهم"
باولو كويلو

إن كنت تعتقد بأن المغامرة خطرة ...
فجرب الروتين .. فهو قاتل!!!
باولو كويلو

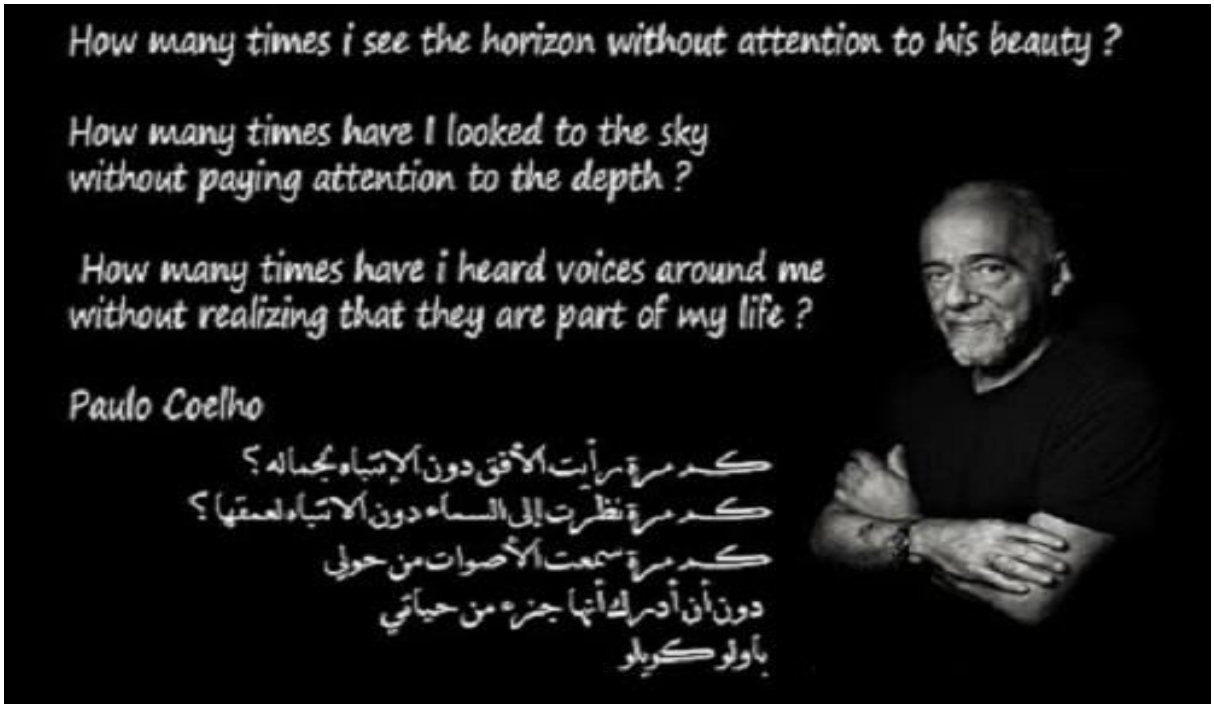
How many times i see the horizon without attention to his beauty ?
How many times have I looked to the sky
without paying attention to the depth ?
How many times have i heard voices around me
without realizing that they are part of my life ?
Paulo Coelho
كم مرة رأيت الأفق دون الإنتباه لجماله ؟
كم مرة نظرت إلى السماء دون الانتباه لعمقها ؟
كم مرة سمعت الأصوات من حولي
دون أن أدرك أنها جزء من حياتي
باولو كويلو

الفصل الثّاني: سنن الحوار الثّقافي في الرواية

المبحث الأوّل: علاقة الرّاوي بالحضارة الإسلامية

أ- الشخصيات العربية.

ب- الفضاء العربي.

المبحث الثّاني: الحوار بين الثّقافتين الإسلامية والمسيحية

أ- الإيمان بوجود الإله.

ب- طريق المعرفة والسّعادة الرّوحية.

المبحث الثّالث: أثر السّيرة الذّاتية في الرواية :

أ – تعانق الذاكرة والخيال.

1- المستوى الواعي .
2- المستوى اللاّواعي.
3- مستويات الذّات في الرّواية.

ب- استدعاء طيف باولو كويلو.

لقد خلقنا الله جلّ وعلا عالم الغيب، بحكمته شعوبا وقبائل لنتعارف ونتحاور، باعتبار أنّ التّنوع الثّقافي يمتاز بقوّة محرّكة للتنمية البشرية على العموم، ووسيلة لعيش حياة فكرية ومعنوية روحية أكثر اكتمالا، وقاعدة لتحقيق المصالحة و السّلام بين الشّعوب والأمم[1].

المبحث الأوّل: علاقة الرّاوي بالحضارة العربية:

إحتلت الحضارة العربية الإسلامية مكانة بارزة ومتميزة في العالم منذ القديم، لما تزخرُ به من علوم ومعارف قيّمة، وفريدة في جميع المجالات[2].

لذلك تأثّر بها العديد من المفكّرين والعلماء والفنّانين وخاصة الأدباء منهم، وكان أبرزهم الرّوائي العالمي"باولوكويلو" الذّي جعل منها الرّافد الأكثر أهمية في حياته، فقد اعتمد عليها في كلّ جوانب حياته؛ والدّليل على هذا قوله عنها في رواية الخيميائي:«(...) **وفي ما يتعلق بي؛ كانت الثّقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيّام حياتي، تُبَيّن لي أمورًا لم يستطع العالم الذّي أعيش فيه أن يفقه معناها**»[3].

نلاحظ هنا أنّ باولو أطلق حكما معتدلا اتجاه التراث العربي الاسلامي، والذي أكّد سعة أفقه العالمي وسموّ أخلاقه ومحبته للانسانية كافة، إذ توضحت معالم الطريق الصحيح الذي يجب ان

أ-الشخصيات العربية:

تلعب الشّخصية دورًا مهمًّا في العمل الرّوائي؛ باعتبارها القطب الذّي يتمحور حوله الخطاب السّردي، فهي عموده الفقري الذّي يرتكز عليه. كما تُمَثِّل أكبر جانب يهتمّ به

---

[1]- ينظر: عبد الكريم بكّار: تجديد الوعي، ص ص 217، 218.

[2]- ينظر: شوقي أبو خليل: "الحضارة العربية الاسلامية و موجز عن الحضارات السابقة"، دارالفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص6.

[3]- باولوكويلو: "الخيميائي"، ص11.

السّارد، باعتبارها عنصرًا مباشرًا في إبلاغ رسالته[1].

ونجد "باولوكويلو" في رواية "الخيميائي" فعّل الشخصيات الأساسية ذات أسماء وسمات وطبائع عربية مثلما هو موضح في المخطط الآتي:

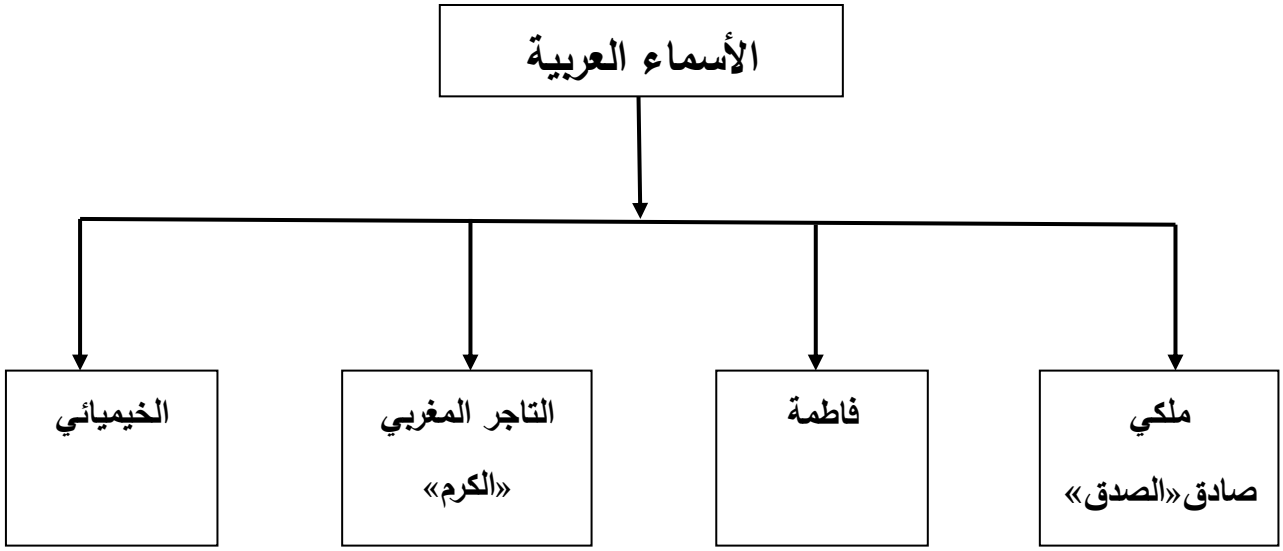

– مثّلت شخصية "ملكي صادق" شخصية العجوز الحكيم العربي، الذّي كان مَلِكًا على مدينة سالم، وقد التقى به بطل الرّواية سانتياغو ووجده عارفًا بحلمه، وبكثير من أسراره التّي لا يعرفها أحد غيره، ثمّ يحثّه على إتبّاع حلمه، والسّعي إلى تحقيق أسطورته الشّخصية، فقال له:«**عندما ترغب في شيء ما، فإنّ الكون بأسره يطاوعك على القيام بتحقيق رغبتك**»[2]، ثمّ وعده أنّه سيخبره بمكان الكنز شرط أن يتخلى له عن خرافه التّي تعلّق بها وأصبحت جزءًا منه، فكّر البطل ثمّ قبل عرضه ذاك، فأخبره العجوز الحكيم العربي:«**الكنز في مصر، على مقربة من الأهرامات**»[3]. واتّضح أنّ الشخصية العربية عارفة وموقنة بعالم الإشارات الغيبية، في التفاتة من الروائي إلى وجهة نظره للثقافة الاسلامية و العربية عموما.

[1]– ينظر: ميساء سليمان الإبراهيم: "البنية السّردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة"، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 2011، ص111.

[2]– باولوكويلو: "الخيميائي"، ص38.

[3]– المصدر نفسه، ص44.

– أمّا الفتاة العربية التّي وسمت باسم" فاطمة"؛ فقد مثّلها الرّوائي على أنّها الحبّ النّقي والحقيقي لبطل الرّواية، والتّي كادت أن تكون بديلاً عن الكنز لما لها من أهمية في قلب البطل، وهذا الاسم هو اسم عربي محض، وقد سميّت بهذا الاسم بنت خاتم الأنبياء والرّسل«محمد صلّ الله عليه وسلم»، وبعدها أصبح منتشرًا في المناطق العربية،وهذه ميزة أطلقها الراوي محدّدا قيمة معرفته بعمق المجتمع العربي الاسلامي وخصوصياته الآسرة ومن ضمنها منظومة الأسماء الأصلية.

– وكذلك شخصية" التّاجر المغربي" الذّي لم يُذكر اسمه في الرّواية، ولكنّه وُسِمَ بصفة متجذّرة في الطبائع العربية الإسلامية، وهي صفة الكرم؛ وذلك عندما سُرِقَ البطل بمدينة طنجة وصار غريباً لا يملك شيئاً، فعرض على التّاجر المغربي صاحب محل بيع البلّور أن ينّظف له متجره مقابل طعامه، فعندما انتهى قال له التّاجر:«**لم يكن من الضروري أن تنظّف شيئاً، إنّ القرآن يلزمنا بإطعام أيّ جائع**»[1].

فالرّاوي لم يسم الشخصية العربية، بغية توعية المتلقي إلى أنّ العربي جوّاد بطبعه لا بنسبه، ولا ترتبط فضيلة الكرم بمستوى اجتماعي أو ثقافي لكنها خليقة موصوفة لكل عربي.

– أضف إلى ذلك شخصية "الخيميائي" عارف الأسرار الذّي يلتقي به البطل ويتعرّف إليه، وينصحه بالسّفر، ويعلّمه علم الخيمياء المختصّة بدراسة أشكال الحياة وقوانينها، متضمنّة الكائنات الحيّة، بما فيها الإنسان الذّي يعتبر أرقى المخلوقات وأكثرها ذكاء، ويطلق عليها أيضاً« الكيمياء الحياتية»[2]، والتّي بدأ تطوّرها مع جابر بن حيّان؛ الذّي يعد من أعلام العرب العباقرة لبراعته في علوم الكيمياء و علم المعادن و الفلك و الطب و الفلسفة و غيرها من العلوم[3].

---

[1]– المصدر السّابق، ص61.

[2]– سامي المظفر: "أساسيات الكيمياء الحياتية"، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، د.ت، ص15.

[3]– ينظر: زكي نجيب محمود: "جابر بن حيان"، دار مصر للطباعة،الاسكندرية، مصر، د.ط ، 2001، ص ص 12، 13.

ب-المكان العربي:

يعدّ المكان من أهّم مكوّنات العمل الرّوائي،إذ يعتبر الأساس الذّي تتحرّك فيه الشّخصيات وتتجسّد فيه أفعالها وأحداثها السّردية، وتمارس حياتها، كما أنّه لا يمكن أن يكتسب هو الآخر أهميّة إلاّ إذا اخترقته الشّخصيات[1]؛ لذلك وسم الرّوائي الفضاء بملامح عربية، حتى يتماشى مع شخصيّاته العربية، ويكون مسرحًا لأحداثها.

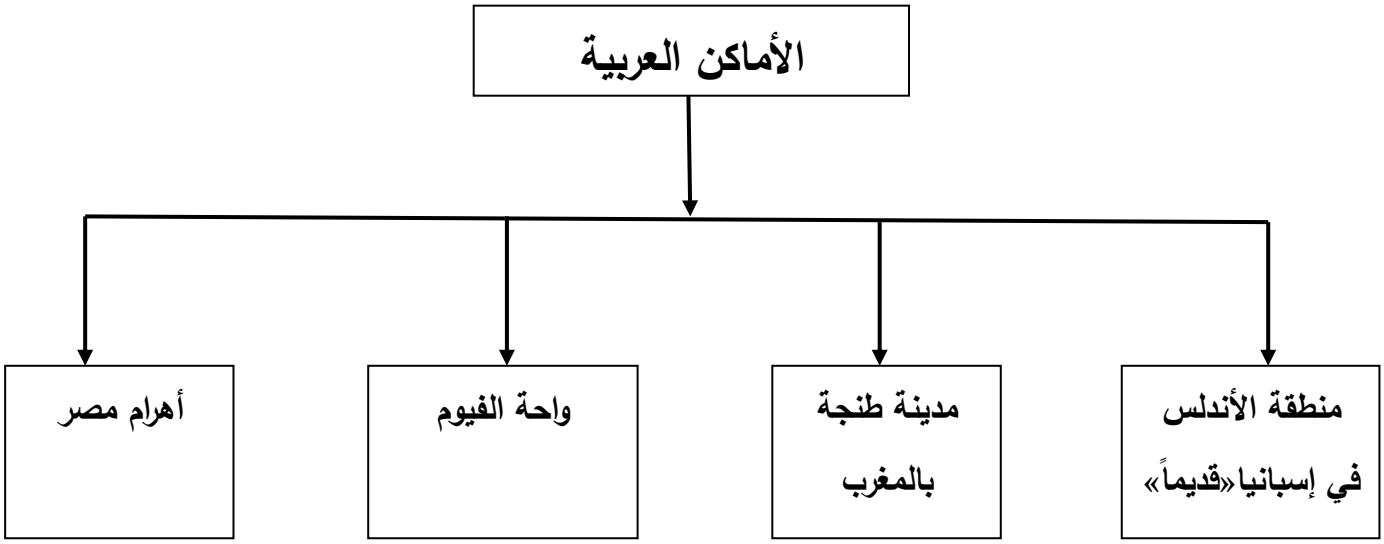

– لقد جعل الرّوائي بعض الأحداث السّردية تدور في منطقة الأندلس*؛ ونلاحظ هنا أنّ هذه المنطقة لم يَعُد يُطْلَق عليها اليوم هذا الاسم، وتوظيف" كويلو" لها ليس مجرّد صدفة بل إنّه يحيل إلى حقبة زمنية معيّنة، امتزج فيها التّاريخ بالجغرافيا، وهي زمن استقرار الحكم الإسلامي فيها[2].

– كما أنّ اختيار مدينة طريفا لتكون موطنًا للرّاعي سانتياغو، يعيش فيها حياته المعتادة كراعٍ لِلغَنم، ليس ساذجًا لأنّها الآن عبارة عن قرية، ويُنْسَبُ اسمها إلى القائد العربي المشهور طريف بن مالك الذّي أُرْسِلَ في مهمّة استطلاعية تمهيدًا لفتح الأندلس، وهي أقرب النّقاط للساحل المغربي[3].

---

[1]– ينظر: ميساء سليمان الإبراهيم: "البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص27.

*– الأندلس: اسم كان يطلق على الأراضي التّي تشكّل اليوم كل من إسبانيا و البرتغال.

[2]– ينظر: بطرس البستاني: "أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث"، دار نظير عبود، د.ط، د.ت، ص6.

[3]– ينظر:المرجع السّابق، ص8.

هذا يعني أنّ الرّوائي يحيل إلى تأثّره بالثّقافة العربية الإسلامية في زمن الحكم الإسلامي في الأندلس.

– وكذلك وظّفت بعض الأحداث السّردية في مدينة "طنجة المغربية" والتّي تعتبر المحطّة الأولى لبطل الرّواية في سفره، وقد وصل إليها عبر المضيق، وسُرِقَ هناك، وتعلّم تجارة بيع البلّور، كما تعلّم اللّغة العربية وطريقة اللّباس العربي، لتستمر الأحداث في"واحة الفيّوم" بمصر، ويلتقي فيها البطل بالخيميائي عالم الأسرار، وبفاطمة حبّه الطّاهر.

– أمّا "أهرامات مصر" يواجه فيها البطل اللصوص الذّين يعذّبونه، ويأخذون منه كلّ ما يملك، ويجبرونه على الحفر مكان وجود الكنز الذّي حلم به، والذّي يتضّح فيما بعد أنّه في الأندلس حيث كان يرعى الأغنام[1].

يستنتج المتتبّع لمسيرة أحداث رواية الخيميائي، شدّة افتتان الروائي بالثقافة العربية الاسلامية، بل وشساعة معرفته بها، حيث فتح مجالا واسعا لباب التأويل السردي؛ فالرواية رافدا مهمّا يثبت عالمية الأدب، وعدم اعترافه بالحدود والتأشيرات، كما أن محطات البطل سانتياغو المختلفة، تشكل ثنائيتين ضديتين هما:

- ميل باولوكويلو المعتدل لثقافة الشرق و نظرته الايجابية.
- تحامل تعصّبي ضدّ العربي وهي إشارة قد وارتها الأحداث بطريقة ذكية، لكننا نكتشفها من خلال:(العربي اللص–وضع الكنز بالقرب من الكنيسة الدالة على الدين المسيحي...) مثّل هذا ركيزة الرواية التي تطورت بفعلها الأحداث.

المبحث الثّاني: الحوار بين الثّقافتين الإسلامية والمسيحية:

تتبوّأ العلاقة بين الثّقافة الإسلامية والثّقافية المسيحية مكانة واسعة في حوار الأديان، وقد كان لتيّار التصّوف دورا كبيرا في جعل الحوار بينهما ممكنًا في رواية الخيميائي، لأنّه يعدّ

[1]– ينظر: باولوكويلو: الخيميائي، ص181.

أكبر تيّار ديني يسري في جميع الأديان؛و«التصّوف هو لفظ يطلق على الرّوحانيات»[1]، ونجد الرّوائي وظّف في روايته قضّيتين أساسيتين ليبيّن لنا أنّه يوجد تشابه بين الثّقافتين والمتمثلاّن في:

أ-<u>الإيمان بوجود الإله:</u>

تعدّ هذه القضية من أهّم القضايا التّي احتّلت مجالاً واسعا في تاريخ الفكر الإنساني بشكل عام، وقد اختلف فيها الكثير من المتحاورين، لدرجة الوُصول إلى التخاصم، وعدم الوصول إلى نتيجة في نهاية الحوار.

لذلك نجد الكاتب يحاول أن يبيّن أنّهما متشابهان بجعلهما يتلاقحان ثقافيًّا ليخْرج لنا في النّهاية أنّ كلاًّ منهما يؤمن بوجود الخالق.

وسنقوم بوضع مجموعة من الأمثلة التّي ضمنّها الرّوائي في رواية الخيميائي، تؤّكد بأنّ كلا الثّقافتين الإسلامية والمسيحية يؤمنان بوجود خالقا واحدا أوحد:

- يقول الشّيخ ملكي صادق للفتى:«**لا تَنْسَ ليس الكلّ إلاّ واحدًا**»[2].

- ونجد الفتى سانتياغو الذّي كان يذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية المسيحية، عندما شعر بالخوف من العجوز الغجرية، أصبح يتلو في صمت«**أبانا الذّي في السّموات**»[3].

- وفي موضع آخر صور لنا الكاتب مشهد التّاجر المغربي الذّي يصف للفتى أركان الإسلام بقوله:«**لقد أَمْلَى علينا القرآن الذّي أُنْزِلَ على النّبي، خمس فرائض علينا العمل**

---

[1]- آناماري شيمل: "الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف"، تر: محمد إسماعيل السّيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2006، ص7.

[2]- باولوكويلو: الخيميائي، ص45.

[3]- المصدر نفسه، ص28.

بها طوال حياتنا أهمّها: الشّهادة بأنّ لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له...»[1].

– كما حاول الرّوائي كويلو أن يوصل لنا رسالة مفادها أنّ كلّ فرد من المجتمع يؤمن بالإله، حتى ولو اختلف المذهب، فيقول رئيس القافلة:«**تنطوي هذه القافلة على نماذج مختلفة من النّاس، الذّين يحملون في قلوبهم آلهة(...) لكنّ ربي الوحيد هو الله (...)بيد أنني أريد أيضا أن يقسم كلّ منكم بالرّب الذّي يؤمن به قسماً من أعماقه...»**[2]، ليقوموا بطاعته في كلّ الظّروف، وعدم عصيانه؛ لأنّ العصيان في الصّحراء آنذاك خلال الحروب يعني الموت « **فأقسم كلّ منهم بصوت خفيض متّخذا من ربّه شاهدا عليه.أقسم الفتى بيسوع المسيح، بينما لَزِمَ الإنجليزي الصّمت،(...) طلب النّاس أيضا الحماية من السّماء»**[3].

نلاحظ هنا بأنّ الكاتب باولوكويلو أراد أن يُفْهِمَنَا أنّ العالم ككل يشترك في الاعتقاد بوجود الإله الذّي يُؤْمِنُ به ويعبده، بما فيها الدّيانة المسيحية والإسلامية على غرار التّباين الموجود في عمق الدّيانة.

ب– <u>طريق المعرفة والّسعادة الدّاخلية:</u>

يعدّ الطّريق إلى الحقيقة المطلقة طريق طويل وشاق؛ فلا يمكن أن يَصِل المُريد* إلى درجة الكشف المطلق التّي يُوهب فيها الحبّ والمعرفة الباطنية، إلاّ بعد وقت طويل من التّطهر[4]، وتقوم هذه التّجربة الرّوحية حسب الرّواية على بصيرة القلب.

1– المصدر السّابق، ص69.

2– المصدر نفسه، ص89.

3– المصدر نفسه، ص89.

*– المريد: هو الصّادق الذّي ينوي التّقرب من اللّه تعالى والمتعلّم على يد شيخ صوفي، و هي رتبة أوّلية من رتب المتصوفة.

4– ينظر: آناماري شيمل: "الأبعاد الصوفية في الإسلام"، ص8.

وقد وظّف لنا الرّوائي هذه البصيرة القَلْبِية في الحوار الذّي دار بين الخيميائي والفتى، وذلك عندما سأله سانتياغو كيف يتوغّل في صميم الصّحراء، ردّ عليه:«**أنْصِتْ إلى قلبك، فهو يعرف كلّ شيء، لأنّه يأتي من روح العالم، وسوف يعود إليها يومًا**»[1].

فعند سلوك المُريد في بحثه عن هذه الحقيقة الكليّة؛ سَيَهْتدِي بنور داخلي يزداد كلّما تحرّر من تعلّقه بهذا العالم، وكلّما صقل مرآة قلبه كما يقول المتصوّفون[2].

وقد وضع الرّوائي ثلاثة أنماط للوصول إلى المعرفة، وتحقّق الرّاحة والسّعادة النّفسية.وتتّفق عليها كلا الثقافتين وهي كما يلي:

1.<u>النّمط الأوّل:</u> <u>البحث المتواصل عن الله</u>

– حيث يقول الفتى سانتياغو:«**كيف يمكننا البحث عن الربّ في المدرسة الإكليريكية***»[3]

– فالإنسان منذ القديم يبحث في الكون،عن طريقة للوصول إلى الله، ونجد الشّيخ العربي الحكيم يُخْبِر الفتى عن هذا الطّريق بقوله:«(...) **ينبغي لك أن تنتبه إلى الإشارات، لقد كتب الرّب في العالم لكلٍّ منّا الطّريق التّي يجب عليه إتّباعها، ومُهمّتك تقتصر على قراءة ما كتب لك**»[4].

– وعندما حدّثه الشيخ عن الإشارات التي تمثّل لغة الرب، فكّر أثناء عبوره المضيق، أنّه

---

[1]– باولوكويلو:" الخيميائي"، ص146.

[2]– ينظر: آناماري شيمل:" الأبعاد الصوفية في الإسلام"، ص8.

[3]– باولو كويلو: "الخيميائي"،ص26.

*– المدرسة الإكليريكية : هي مدرسة تقوم بتثقيف وتدريس الفرد اللاهوت.

[4]– المصدر نفسه، ص44.

يعرف جيدا عما يتكلم فطوال ذلك الوقت الذي قضاه في ربوع الأندلس، تعوّد أن يقرأ على الأرض وفي السماوات التوجيهات المتعلقة بالطريق التي ينبغي له سلوكها[1]، ولذلك علينا أن نتتبّع الإشارات التّي تُصادفنا في الطّريق؛لأنّها تعتبر جزء من لغة الكون في نظر الرّوائي، ويشترك فيها كلّ العالم، وهذه الإشارات ماهي إلاّ القدر الذي قد يؤلمنا أحيانا، وقد يفرحنا أحيانا أخرى.

2.<u>أماالنمط الثاني</u>: الذّي يشتركان فيه هو: **<u>تطهير النّفس أو الرّوح</u>**،وذلك بتربيتها بالابتلاءات وتنقيتها بأنواع الآلام، كما عبّر عنه الرّوائي بتنقية الذّهب وربطها بالخيميائيين الذّين كرّسوا حياتهم بكاملها« **يراقبون هذه النّار التّي تطهّر المعادن. وبقدر ماكانوا ينظرون إلى النّار، كانوا يتوصّلون في أعماقهم شيئا فشيئا إلى التّخلّي عن أباطيل العالم، ثم ما لبثوا أن أدركوا(...)أنّ تطهير المعادن قد أدّى في نهاية المطاف إلى تطهّرهم هم بالذّات**»[2].

كما قد مثّلها الرّوائي بالقوّة الغامضة التّي تبدو في البداية سيئة، لكن فيما بعد نفهم أنّها كانت تساعدنا على تنقية نفوسنا وتطهيرها، وقد أشار إليها الصّوفية في معنى الأحوال و المقامات*

3.<u>النمط الثالث</u> هو ما **<u>يعرف بالحب</u>** أو" الحب المطلق" وهي عبارة عن إشارات اقتبست من الحبّ الإنساني، يُعبّر بها عن شوق المحب إلى التوحد،وأحيانا تأتي هذه الأشعار

---

[1]– المصدر السّابق، ص ص 49، 50.

[2]– المصدر نفسه، ص98.

*– الأحوال والمقامات: اصطلاحان يستخدمان للدّلالة على تدرّج السّالك للطّريق الصوفي من مكانة إلى أخرى، وما يتعرّض له في تدرجه هذا من أحوال تنقّيه وتطهّره تأتيه من نسمات الرّحمة الإلهية.

الصّوفية معبّرة عن اختلاط بين الحبّ الإلهي والحبّ الإنساني خلطًا يدعو للحيرة[1].

ومثل ذلك في الرّواية حوار سانتياغو مع الصّحراء عندما أراد أن يتحوّل إلى ريح، سألته عن معنى الحبّ، فقال لها:« **حاولي أن تفهمي على الأقل ثّمة امرأة تنتظرني في مكان ما وسط رمالك، ولابّد لي كي أعود إليها، أن أتحوّل إلى ريح**»[2].

وبعدما يمرّ السّالك بهذه الأنماط الثلاثة تتحقق سعادته الأبدية.

كما نجد أنّ كلا الثّقافتين تعتقدان بأنّ السّعادة الإنسانية، لا تكون خارج الذّات البشرية بل داخلها ، وتتحقّق من خلال علاقتين أساسيتين تتمثّل في :علاقة الإنسان بذاته من جهة، وعلاقته بربّه من جهة أخرى[3]؛ وعلى هذا الأساس يحدّدون السّعادة بالتّناغم الدّاخلي الفريد، الذّي ينبع من التّواصل مع الإله باعتباره الموجد له.

لقد نجح الروائي في مزج مادته السّردية بين روح عربية اسلامية، ومادة غربية عقلية؛ فأنتج لنا سيرة حياتية واقعية، قد تتكرّر مع كل شخص طموح، وتغلب إرادته تحديات الزمن ومثاليته.

المبحث الثّالث: أثر السّيرة الذّاتية في الرّواية:

يعدّ أدب السّيرة الذّاتية " Autobiographie " من الفنون الأدبية التّي تتضمّن السّيرة الشّخصية للرّوائي، فهو يرويها بنفسه، ويحيل إليها بضمير المتّكلم أو الغائب، وتكون في عدة مجالات سياسية،اجتماعية، وأحيانًا يصبّها على التّجربة الرّوحية، والتّحليل النّفسي

[1]– ينظر: محي الدّين بن عربي:" لوازم الحبّ الإلهي"، تح: موفق فوزي الجبر، دار النمير، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص ص 42، 43.

[2]– باولوكويلو: "الخيميائي"، ص164.

[3]– ينظر: عبد الرحمن بن محمود نموس: "الصوفية بين الدين والفلسفة"، دار الإيمان، إسكندرية، مصر، ط1 ، 2008، ص121.

الاستبطاني[1]، مثل ما نجده في" رواية الخيميائي" للرّوائي العالمي البرازيلي"باولوكويلو" الذّي ارتبط بشخصيات الرّواية ارتباطاً وثيقًا، ومتماسك إلى حدّ التوّحد، ولاسيّما مع بطل الرّواية سانتياغو.

– بعد التأمل في عنوان الرّواية الذّي دائمًا ما يكون المفتاح الذّهبي لموضوع الرّواية، وهي موسومة بـ"الخيميائي"؛ ويبدو منذ الوهلة الأولى أنّه عنوان يتّسم بالغموض، وذلك لأنّه لفظ عادة ما يُقْرَنُ بالسّحر والتّنجيم والعوالم السّفلية الغامضة، ويطلق هذا اللّفظ على الخبير المتمكّن من الكيمياء القديمة أو علم الخيمياء[2]، ولهذا المصطلح دلالة خاصّة كذلك تتمثّل في الفكر الصّوفي.

ونجد كلّ هذه الدّلالات التّي ذكرناها للمصطلح تتشابه في وظيفة الخيمياء، وهي: «**ببساطة إحلال الكمال الرّوحي على الصعيد المادّي**»[3]؛ فالكاتب عندما وسمه كعنوان لروايته على الأغلب كان له معرفة بعلم التنّجيم والسّحر، ومعرفة عميقة بعلم التّصوف.

– كما نجده قد صدر روايته بآيات من الإنجيل تقول:« **وفيما هم سائرون دخل قرية فقبّلته امرأة اسمها مرثا في بيتها، وكانت لهذه أخت تدعى مريم التّي جلست عند قدمي يسوع، وكانت تسمع كلامه...**»[4].

يحيلنا هذا إلى أنّ الرّوائي موحّد ومعتنق للدّين المسيحي، كما أنّ تصديره للرّواية بهذه الآيات من الإنجيل، لها بعدٌ آخر يتمثّل في محاولة إيصال فكرة؛ أنّ الإنسان يحتاج إلى أمر روحي أساسي في حياته، يوفّر له الرّاحة النفسية، ويوضح له الطّريق إلى السعادة الأبدية.

---

[1]– ينظر: عبد العزيز شرف: "أدب السيرة الذّاتية"، دارتوبار، الجيزة، مصر، 1992، ص15.

[2]– ينظر: زكي نجيب محمود: "جابر بن حيان"، ص 79.

[3]– باولوكويلو:"الخيميائي"، ص162.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص7.

– كما يتميّز الرّوائي بمخزون معرفي آخر متمثّل في الثّقافة العربية الإسلامية كما بيّنا سابقا، ولكن وصفه الدّقيق لتلك البلدان والمناطق العربية التّي ضمنّها في روايته، جذب انتباهنا أنّه عارف بتقاليدها ومعتقداتها ولباسها، ومثل ذلك كلمة "مكتوب" التّي تعتبر من مواريث الحضارة العربية الإسلامية بامتياز، ولا يعلم معناها إلاّ أهلها، وكذلك معرفته باللّباس العربي التّقليدي:« **إرتدى لباسًا عربيًّا من الكتّان الأبيض (...) واعتمر العمامة المربوطة بحلقة من جلد الحمل، وانتعل أخيرًا صندله**»[1]،وهذا الوصف لا يمكن أن يكون عن طريق القراءة،لأنّه وصف دقيق ينمّ عن تجربة بالأمر؛ ومعنى هذا أنّ الرّوائي قد زار الأماكن التّي وظّفها في روايته، والتقى ببعض العرب وتحادث معهم، وبالتّالي فهو يتكلّم عن تجربة واقعية مرّ بها وصبّها في روايته، وأضفى عليها سحره الخاص.

– أمّا المخزون الثّالث فيتمثّل في التيار الصّوفي الإسلامي الذّي تأثّر به الرّوائي وضمّنه في روايته بشكل كبير؛ والدّليل على ذلك توظيفه في بداية الرّواية قصّة لأحد كبار متصوفي الإسلام، أسماه حسن وكان يحتضر عندما سأله أحد تلاميذه عن معلّمه؛ فأجابه المئات من المعلّمين[2] ، ثمّ قال:«كان هناك ثلاثة في الواقع، تعلّمت منهم أمورًا على جانب كبير من الأهمية»[3]؛ أوّلهم كان لصًّا، والثّاني كان كلبا، وأخيرًا كان ولدًا، وتتضمن الأحداث التّي رواها له حكما يتميز بها المذهب الصوفي الفلسفي الإسلامي[4]. ويقول الرّوائي في القصّة: « **تبيّن لنا هذه القصة الجميلة المقتبسة من موروث التّصوف في الإسلام، أنّ أحد أقدم الطّرق التقليدية التّي اعتمدها الإنسان لنقل معرفة جيله، كانت القصص والحكايات**»[5] .

---

[1]– المصدر السّابق، ص76.

[2]– ينظر:المصدر نفسه، ص9.

[3]– المصدر نفسه، ص9.

[4]– ينظر:المصدر نفسه، ص ص ص9، 10، 11.

[5]– المصدر نفسه، ص11.

نستنتج هنا أنّ للرّوائي باولوكويلو مخزون كبير وضخم حسب الرواية؛ سنمثله بمخطط كالتالي:

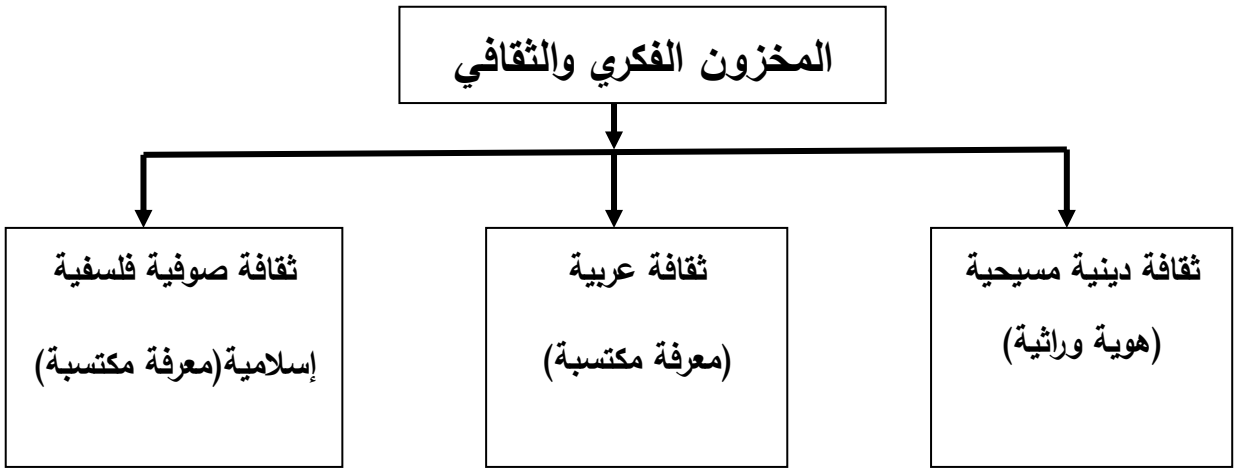

كما قام الرّوائي بذكر عبارة" الأسطورة الشخصية" في روايته ثمانية وأربعين مرّة(48) في الرواية،ويدّل هذا على أنّها مهمّة عنده،وتحتّل مكانة كبيرة في نفسه، لذلك جعل منها الواجب المفروض على كلّ إنسان السّعي إلى تحقيقها، والتخلّي عن الغالي والنّفيس في سبيل الوصول إليها.

ونجد الكاتب يصفها بشكل دقيق وعميق على لسان الشيخ ملكي صادق؛ بأنّها الشّيء الذّي يتمنّى الإنسان أن يفعله باستمرار في مطلع شبابه، لأنّه في تلك المرحلة من الحياة يكون كلّ شيء واضحاً وممكنًا، ولا يخاف أن يحلم بكلّ ما يحب أن يفعله في الحياة، إلاّ أنّ هناك قوّه غامضة تحاول إقناعه بأنّ تحقيقه أمر مستحيل،لكن في نهاية المطاف سيصل إلى أنها كانت تصقل النّفس و تهيّئها للحصول على الكنوز التّي لطالما أرادها [1]؛فهو يقول أنّ الطّريق إلى تحقيق الأسطورة الشّخصية طويل جدًّا، ويستلزم أن نصبر وأن نَسْعَى إليها بكلّ إخلاص وتفانٍ في سبيل تحقيقها.

[1]– ينظر:المصدر السّابق، ص37.

فالرّوائي يتكلّم عنها ويروي المراحل التّي ستصادفك من يأس واستسلام وحزن، وحواجز تقف أمامك وأمام هدفك ...الخ، وكلامه هذا يحيل على أنّه مرّ بهذه التّجربة وعاش كلّ ما رواه لنا فيها، بصيغة الروائي من الخلف، العالم بمسيرة الأحداث قبل أن تقع.

كما قد جذب انتباهنا أنّ الرّوائي العالمي، لم يترك وقت فراغ لبطل الرّواية سانتياغو إلاّ وجعله يقرأ الكتب ويطالعها، ومن أمثلة ذلك:

– قول الرّاوي:« **بسط رداءه على الأرض، وتمددّ مستخدمًا الكتاب الذّي أنهى قراءته، وسادة قبل أن يغفو، فكّر بأنّه ينبغي له أن يقرأ بعد الآن مؤلّفات أكثر ضخامة**»[1].

– وكذلك قال:« **فذهب الرّاعي وجلس على رصيف الدّكان ثمّ أخذ كتابًا من خرجه**»[2].

– وفي موضع آخر:« **نظر إلى السّماء، وبالاستناد إلى حساباته سيبلغ مدينة طريفا قبل موعد الفطور، هناك يمكنه أن يستبدل بكتابه كتابا ضخما**»[3].

– كما يقول أيضا:« **باشر قراءة الكتاب الذّي زوّده به كاهن طريفا، إنّه كتاب ضخم**»[4].

وهذا التّوظيف الكثير في الرّواية، ليس له معنى آخر سوى أنّ الرّوائي يهوى القراءة، وشغوف بها لدرجة كبيرة، لذلك جعل من بطل الرّواية كثير القراءة مثله.

– كما يلتقي الكاتب مع بطل الرّواية في حبّ السّفر والتّرحال؛ وذلك من خلال المشهد الذّي صوّر لنا فيه الروائي، بطل الرواية الذي كان سيصبح كاهنا كما يتمنى والداه، لكنّه قررّ أن يسافر ويشاهد بلداناً ومناطق أخرى، ويسْتكشف العالم«(...) **فحتّى السادسة عشر ترددّ إلى مدرسة إكليريكية، وكان والداه يرغبان بأن يجعلا منه كاهنًا ليغدو فَخْرًا لذويه**

---

[1]– المصدر السّابق، ص17.

[2]– المصدر نفسه، ص19.

[3]– المصدر نفسه، ص27.

[4]– المصدر نفسه، ص32.

الرّيفيين البسطاء،(...) درس اللاّتينية والإسبانية واللاّهوت، ولكنه كان يحلم منذ نعومة أظافره، بأن يخبر الحياة، وذلك شيء أكثر أهمية من معرفة البشر وآثام البشر»[1].

– ثمّ يقول الرّوائي:« **وذات مساء حين ذهب لزيارة أسرته تسلّح بالشّجاعة، وقال لوالده إنّه لن يصبح كاهنًا بل يريد أن يسافر»**[2].

ونجد الرّوائي يصف كيف حاول والد الفتى أن يقنعه بالعدول عن رأيه، بقوله:« **إسرح في العالم حتّى اليوم الذّي تدرك فيه أنّ قلعتنا هي الأكثر أهمية،وأنّ نساءنا هنّ الأجمل»**[3].

– فإذا ربطنا هذه الأحداث بما يخّطه كويلو بين السّطور مثل قوله:« **عندما نشاهد دائماً الأشخاص أنفسهم(...) فسوف يؤدّي ذلك إلى اعتبارهم جزءاً من حياتنا، وإذا بهم يحاولون تغييرنا في نهاية المطاف.لم نكن مثلما يتمنّون أن يرونا يستاؤون، لأنّ النّاس جميعهم يعتقدون بأنّهم يعرفون بالضبط كيف ينبغي لنا أن تكون حياتنا»**[4]، ثمّ يقول: «**لا أحد يعرف إطلاقاً كيف ينبغي له أن يعيش فجميعهم أشبه بامرأة حالمة تجهل كيف تجسّد أحلامها»**[5] .

– وكذلك قوله:« **لهذا السّبب بالذّات يحبّ السّفر؛ لأنّ السّفر يساعدنا باستمرار على اكتساب أصدقاء جدد، دون أن نكون مضطرّين إلى البقاء معهم يومًا بعد يوم»**[6].

نصل إلى أنّ الرّوائي قد مرّ بتجربة تشبه تجربة الرّاعي تقريبا، في الجانب الذّي حاول فيها أشخاص مقربّين، ويحتّلون مكانة كبيرة في حياته، التأثير عليه بإبعاده عن حلمه؛ لأنّه يعتبر تافها وبلا معنى بالنّسبة لهم، ولا صلة له بالواقع المعيشي، فيقرّرون عنه كيف يجب

---

[1]– المصدر السّابق، ص24.

[2]– المصدر نفسه، ص25.

[3]– المصدر نفسه، ص32.

[4]– المصدر نفسه، ص32.

[5]– المصدر نفسه، ص32.

[6]– المصدر نفسه، ص32.

عليه أن يعيش حياته، في حين أنّه يرى أنّ لا أحد منهم يعلم كيف يعيش ويسعى إلى تحقيق حلمه، لذلك فكّر بأنّ السّفر هو السّبيل إلى الخلاص من قيدهم، والطّريق الأمثل لتحقيق طموحه .

أ- تعانق الذّاكرة والخيال

الإنسان مفكّر و متدبّر بطبعه في الكون، ويعتمد في تحصيله لمعارفه وخبراته تلك على العديد من القدرات العقلية، بغية التّكيف مع المحيط؛ ومن بين أهمّ هذه القدرات العقلية هما "الذّاكرة والخيال" اللّذان يمثّلان قوام التّفكير، وعمود العمليّات المعرفية بأنواعها؛ فهما يشكّلان وجهان لعملة واحدة، لا يمكن حضور أحدهما بمعزل عن الآخر، بالرّغم أنّ كلّ وجه منهما له آليّات اشتغال تختلف عن الآخر، متنقّلة بين الوعي واللاّوعي[1].

1.المستوى الواعي

يمثّل الشّعور بالذّات والوعي بها أقوى الغرائز لدى الفرد، لذلك يحاول إثبات ذاته باستمرار والإهتمام بها؛لأنّ إثباتها يعني إثبات الوجود، معتمدا في ذلك على التّفكير الواعي، فتتشكّل عنده معرفة بوجوده وأفعاله المستمدّة من الواقع، والمحفوظة في ذاكرته[2]؛ ذلك أنّ الحياة النّفسية الإنسانية لاتقوم على الحاضر فقط، إنّما هي استمرار الماضي وامتداده حتّى يتّصل بالحاضر، فنحن نعيش بذكرياتنا وآمالنا، وتجاربنا وعلاقتنا مع الأهل والأصدقاء الذّين عرفناهم في الطّفولة[3].

وقد تناول العالم النّفساني سيغموند فرويد قضيّة الوعي؛ وخلص إلى أنّه يعني السّلوك الإنساني الذّي يتمثّل في الفعل الإرادي، الذّي تقوم به الذّات في حال حضورها الذّهني،

---

[1]- ينظر: عبد الكريم عثمان: "الدّراسات النّفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص"، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 1981، ص304.

[2]- ينظر: عبد الكريم بكّار: "تجديد الوعي"، دار القلم، دمشق، سوريا ،ط1، 2000، ص10.

[3]- ينظر:عبد الكريم عثمان:" الدّراسات النّفسية عند المسلمين"، ص303.

ويشمل الوعي في نظره كل من الأنا و الأنا الأعلى؛ "فالأنا" مخير بين الرّغبات والمكبوتات الموجودة في الهو، لكن "الأنا الأعلى" يحميه ويسطير عليه بمثابة الضّمير، ويحميه من الإنصياع وراء رغبات الهو[1].

كما نجد يونغ يعرّف الوعي بأنه:« الوظيفة أو الفعّالية التّي تصون العلاقة بين مضامين النّفس والأنا، لذا لابدّ لخبرتنا للعالم الخارجي والدّاخلي،أن تمرّ من خلال الأنا حتّى تصبح مدركة » [2].

كما يقول في الأنا:« أدرك أنّ الأنا تركيب من التّمثلات يشكّل مركز حقل الوعي، ويبدو أنّه يمتلك درجة عالية من المتّصلية–الكل المتّصل–والتّطابق والتّماثل » [3].

نفهم هنا أنّ الوعي يمثّل محصّلة عمليّات ذهنية وشعورية فردية كانت أم اجتماعية، ذلك أنّ الإنسان هو نتاج الثّقافة، فهو يكون عند مولده كائن خام، ولاتتبلور إمكاناته إلاّ في بيئة مادّية ووجدانية وثقافية ملائمة، وجهد متواصل؛ فكلمة الفكر والعقل والثّقافة والشّعور والإدراك، كلّها ألفاظ تستخدم في المجالات الحضارية المختلفة، وتمثّل المستوى الواعي للإنسان[4]؛ إلاّ أنّنا نصل إلى حقيقة أنّ الوعي لايستطيع الإحاطة بالعالم الذّي نعيش فيه عن طريق الحواس وحدها، فهو يحتاج الوجه الآخر المتمثّل في المستوى اللاّوعي اللاّشعوري الانساني[5]؛ فالثّقافة لاتقوم بمعزل عن الأضداد.

---

[1]– ينظر:علي اسماعيل علي: "نظرية التّحليل النّفسي_إتّجاهاتها الحديثة في خدمة الفرد"، دار المعرفة، مصر ،1995، ص ص24 ،25.

[2]– بولاند جاكوبي:"علم النّفس اليونغي"، تر:ندرة اليازجي، دمشق، سوريا، ط1، 1993 ، ص19.

[3]– المرجع نفسه، ص18.

[4]– ينظر: عبد الكريم بكّار:"تجديد الوعي"، ص ص 10 ،11.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص13.

2.المستوى اللاّواعي

يشير هذا المستوى إلى الجزء المسؤول عن كلّ الحركات والأنشطة اللاّإرادية التّي تنتاب الذّات الانسانية.

وتوجد في أعماق نفس كلّ إنسان كنوز كثيرة، ومواهب وقدرات وقوى نفسية خارقة في أغوار اللاّوعي، تستطيع أن تقود الفرد إلى الحقيقة المطلقة والإبداع والنّجاح في حياته، وهذه القوى النّفسية مصدر الباطن الفردي؛ الذّي اصطلح على تسميته بالهو عند علماء النّفس أو باللاّوعي الجمعي[1].

ويكون هذا المستوى اللاّوعي بشكل عام تحت ضغط كبير بسبب رقابة العقل الواعي، فإذا غاب هذا العقل أو غفل أو نام تبرز تلك المكبوتات من سجنها، وتظهر آنذاك بصور شتّى وأساليب متنوّعة، وأهمّ مجال تظهر فيه هذه الرّغبات المكبوتة في نظرهم هو مجال الأحلام؛ ويفسّرونه على أنّه طموحات يعيشها الفرد في واقعه لم تتحقّق، فيتمّ تحقيقها وإشباعها في

الخيال[2].

كما تناولوا فكرة الحدس ويطلق عليه يونغ مصطلح« الوظيفة اللاّعقلية » [3]، وقد استخدموا هذا اللّفظ مقابلا لمصطلح الإلهام، ويرون بأنّ الحدس هوالإدراك السّريع للمعرفة التّي نصل إليها دون وعي بالخطوات الموصلة إلى ذلك[4].

وبوجه عام فإنّ عمليّة الحدس؛ هي محصلة التّفاعل بين مكتبسات وجدانية وانفعالية ومعرفية في نظر هذا الفريق.

---

[1]– ينظر: سمير عبده: "التّحليل النّفسي للمكاشفة الباطنية"، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط1 ،1994، ص38.

[2]– ينظر:سلامة موسى: "العقل الباطن أو مكنونات النّفس" ، دار الهلال، مصر، د.ط، 1928 ،ص19.

[3]– بولاند جاكوبي:"علم النّفس اليونغي"، ص23.

[4]– ينظر:عبد الكريم عثمان:"الدراسات النّفسية عند المسلمين"، ص355.

أمّا النظرة الفلسفية الصّوفية جعلت العقل الباطن« مهبط الوحي والكشف والإلهام في الإنسان، وهو منبع العبقرية والنّبوة والإختراع » [1]، كما تطرّق بعضهم إلى أنّ العقل الباطن هو الرّوح، والبعض الآخر اعتبره جزء الله الذّي حلّ في الإنسان[2].

ويورد هذا العقل الباطني أحلام وخواطر بغير وعي، ولانعني بهذا أنّه كان نائما فانتبه؛ ما نعنيه أنّه في حالة يقظة يكون تحت سلطان العقل الواعي، وفجأة يمرّ بلحظة خاطفة لاواعية؛ فيرى أحداث واقعة أمامه،لايعرف مصدرها، وتكون على شكل خواطر أو إلهامات كما يمكن أن تكون عبارة عن هواجس سحرية[3].

ومثل ذلك المشهد الذّي صوّره لنا الرّوائي "باولو كويلو" في روايته المعنونة "بالخيميائي"، عندما كان بطل الرّواية يستمتع بروعة الكون دون أن يفكّر في شيء، وفي لحظة أحسّ بشيء يتحرّك فوقه، ونظر إلى السّماء فرأى صقرين يحلّقان عاليا جدّا،يرسمان أثناء طيرانهما أشكال مبعثرة لم يستطع فهم ما ترمز إليه، وفجأة إنقضّ أحد الصّقرين عموديّا لمهاجمة الآخر، وفي تلك اللّحظة بالذّات لاحت للبطل رؤيا مفاجئة وخاطفة:« **جماعة مسلّحة تقتحم الواحة شاهرة السّيوف** » [4]، ثمّ إختفت الرّؤيا وتركت أثرا عميقا في نفسه، تشبه السّراب وكان خائفا ممّا رآه، هذا الخاطر سمّاه الرّجل الحكيم بالتّقليد فقال:« **إننّا نتقيّد دائما بالتّقليد؛ فالتّقليد أنقد مصر من المجاعة في ذلك الزّمن، وجعل من شعبها الأغنى بين الشّعوب،(...) لكن التّقليد يقول لنا أيضا أن نصدّق رسائل الصّحراء؛لأنّ كلّ مانعرفه علّمتنا إيّاه الصّحراء** »[5]؛ وأمر هذا الحكيم بعمل الإجراءات اللاّزمة لحماية واحتهم التّي في خطر حسب رؤيا سانتياغو، وفيما بعد تأكّد أهل الواحة بصدق رؤيا البطل وجعلوا منه

---

[1]– علي الوردي:"خوارق اللاّشعور أو أسرار الشّخصية النّاجحة"، دار الورّاق، لندن، د.ط ،199 ،ص143.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص143.

[3]– ينظر:سلامة موسى:"العقل الباطن"، ص19.

[4]– باولو كويلو:"الخيميائي"،ص118.

[5]– المصدر نفسه، ص124.

مستشارا للواحة.

نفهم من هذا أنّ روّاد هذا الإتّجاه الفلسفي الرّوحي يؤمنون بأنّ هذا العقل الباطن يأتي من القوّة العليا التّي يؤمنون بها، وذلك على شكل إلهامات وخواطر وهواجس تسمو بالفرد إلى درجات لم يكن يحلم بها.

وكلّما كانت صلة الفرد الطّبيعية قويّة بهذا العقل الباطن،كلّما أصبحت مهمّته صعبة؛لأنّ المبدعين من بني البشر والفنّانين يتميّزون بعلاقة طبيعية خارقة، ندعوها خطّا مباشرا مع اللاّوعي؛ ونجد أنّ الإنطوائيين هم الذّين يكتبون روايات سيكلوجية دقيقة عن أنفسهم، والانبساطيين هم الذّين يجعلون من أنفسهم أبطال قصص المغامرات، وينتمون إلى هذا الصّنف[1].

ويعتقد يونغ أنّ :« الفن الإنبساطي ينبع من الفنّان الذّي يعيد صياغة تجربته الخارجية، وأنّ الانطوائي يبدع فنّه عندما تغره أو تسحقه المضامين الدّاخلية » [2].

وهناك صنف آخر نجده يجمع بين تجربته الخارجية والمضامين الدّاخلية التّي غمرته وسحقته، لدرجة أنّه يكتب رواية سيكلوجية دقيقة هو بطلها، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تمسّ الإنسانية ككّل باختلاف أجناسها ولغاتها؛ ذلك أنّ مفاهيمها ومضامينها الدّاخلية هي روحية استبطانية مشتركة، ومن هؤلاء نجد الرّوائي البرازيلي العالمي "باولو كويلو" الذّي نجح في تقديم رواية مزج فيها بين تجربته الخارجية وتجربته الدّاخلية الرّوحية، ذلك أنّه قدّم قصّة؛ تحكي في ظاهرها عن بطل مغامر يبحث عن كنزه الموجود في الأهرامات المصرية، والرّوائي متّصل به لدرجة كبيرة ، وهو عارف بكلّ الأحداث التّي تصادفه؛ لأنّنا وجدنا في أغلب الأحداث التّي وظّفت في الرّواية، أنّ الزّمن صفر بين البطل والرّاوي، المسمّى بتقنية

---

[1]– ينظر :بولاند جاكوبي:"علم النّفس اليونغي"،ص ص 37 ،38.

[2]– المرجع نفسه،ص38.

التّبئير [1].

ونجد من جهة ثانية مفاهيم الرّواية روحية سيكلوجية دقيقة،قدّمها لنا عن طريق شخصيّات تميّزت بمساعدة البطل سانتياغو في معرفة الطّريق الرّوحي والمادّي، والرّاوي "باولو كويلو" يقوم بتوجيه الأحداث لدرجة أنّ القارئ أحيانا لايفرّق بين كلام الرّاوي وكلام الشّخصية.

ونفهم من كلّ ماذكرناه أنّ الرّوائي "باولوكويلو" جمع لنا في روايته بين فنّين – الفنّ الانطوائي والانبساطي– وأبدع فيهما، ويعود الفضل في ذلك للعقل الباطني، الذّي جعل الرّوائي منه مركزا قوّى صلته به؛ لدرجة أنّه خلق خطّا مباشرا مع المستوى اللاّواعي الذّي يلهمه ويجعله عبقريّ ومتميّز وفريد،على عكس عمل عقل الإنسان العادي؛ الذّي يرفض عقله الباطني أيّ اقتراح غرائبي غير منطقي ، كماهو موضّح في المخطّط الآتي:

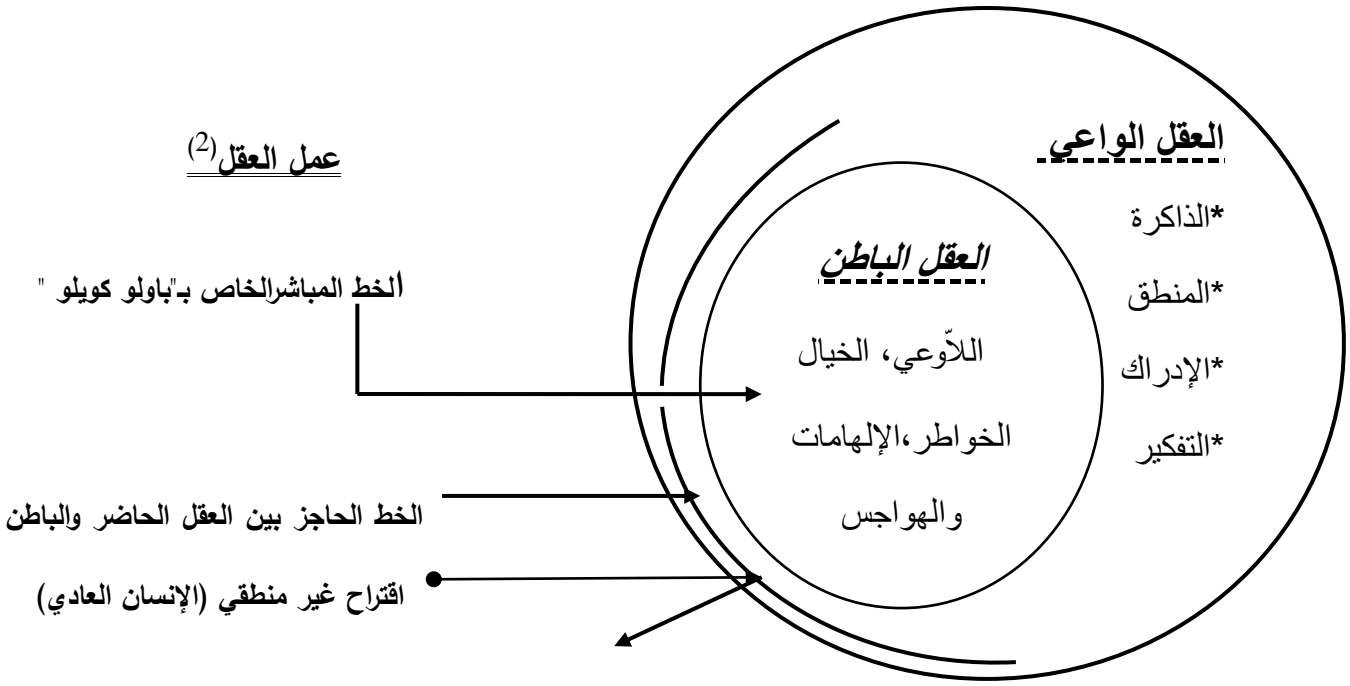

[1]– ينظر: جيرار جينيت وآخرون:"نظرية السّرد من وجهة النّظر إلى التّبئير"، تر:ناجي مصطفى، منشورات كوثر، المغرب، ط1، 1989، ص60.

[2]– ينظر: سمندل السوداني:العقل الواعي واللاواعي دراسة، ،8 مارس2010 ، 2:57، ضمن موقع : www.arab-eng.org/vb/t185330.html

3- مستويات الذّات في الرّواية:

يعد السرد وسيلة الفنان في نسجه للأحداث الواقعية والمتخيلة، وتوزيعها بين ثنايا النص الروائي السّلس، القادر على استكشاف العالم والتّاريخ والإنسان؛ لذلك يلجأ الكاتب إليه ليصوغ ذاته ورؤيته لعالمه، وتطلّعاته وحالاته النّفسية، وميولاته ورغباته صوغا سرديّا، يسمح بالتّشظي في أشكالها وأساليبها وموضوعاته مهما كان نوعها[1].

لذلك لم تعرف الذّات فنّا يفوق الحكاية والقصّة في أسر تمثّلاتها الفنية لروح الفرد وخيالاته، وتعالق وعيه مع ذاكرة الكون، بأسلوب رمزي سحري إبداعي؛باعتبارها كيان إدراكي ومعرفي ووجداني؛ وهي التّي تقوم بعمليّة التنسيق والرّبط والتنظيم للتجربة الفردية[2].

وقد جسّدت الذاكرة في هذا الخطاب الرّوائي من خلال آلية التّعويض المتمثّلة من جهة في السّفر والتّرحال؛ الذّي منح معنى لحياة بطل الرّواية سانتياغو وهو في طريقه إلى استكشاف العالم، قال في نفسه:« **تلك بالضّبط إمكانية تحقيق حلم يجعل الحياة جميلة** » [3]، ومن جهة ثانية تتجسد في الحلم الذّي رآه يتكرر مرتين إذ يقول:« **وجدت نفسي مع نعاجي في أحد المراعي، وإذا بطفل يظهر ويلعب مع الحيوانات...استمرّ يلهو مع النّعاج فترة من الوقت، وفجأة أمسك بيدي وقادني حتّى أهرامات مصر(...) قال الطّفل لي:إذا جئت إلى هنا تجد كنزا مخبوءا** » [4]،وعندما حكى البطل لمفسّرة الأحلام أخبرته بوجود كنزه في مصر التّي يجب السّفر إليها، ليتمكّن من تحقيق هذا الحلم[5]، وقد مثّل لنا هذا الخطاب السّردي قوّة الخيال الذّاتي، دون التّخلي عن مكانة الواقع المادي في تشكيلها.

---

[1]- ينظر: ميلان كونديرا: "فنّ الرّواية"، تر:بدر الدّين عرودكي، دار الأهالي، دمشق، سوريا، ، ط1، 1999، ص13.

[2]- ينظر: ديفيد لودج:"فنّ الرّواية"، تر:ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة،مصر،ع288، ط1، 2002، ص78.

[3]- باولو كويلو:"الخيميائي"،ص27.

[4]- المصدر نفسه، ص ص 29، 30.

[5]- ينظر :المصدر نفسه، ص30.

وقد صوّرت لنا الذّات البطلة في الرّواية بعدّة أوجه، وحالات نفسية مختلفة، يمكن حصرها في مايلي:

1-الذّات المغامرة:

تمثّل حب المغامرة رغبة في البحث عن التّجارب التّي ترسخ قدرة الإنسان على اقتحام بيئات جديدة، للإستكشاف والوصول إلى إكتساب المعارف بأنواعها المادّية والمعنوية.

فبطل الرواية سانتياغو كان يحلم منذ صغره أن يختبر الحياة، فغمره حبّ الاستطلاع؛ لذلك تسلّح بالشجاعة، وقرر أن يبدأ بتحقيق حلمه، وعيش هذه الرّغبة المشتعلة التّي تتغلغل في أعماقه باستمرار ومحاولة تجسيدها، فأصبح هدفه من الحياة أنّه:« **يحقّق كل يوم، حلم حياته الكبير:السّفر. وعندما يملّ من سهول الأندلس، سوف يبيع غنمه،ويغدو بحّارا، وعندما يتعب من البحر يكون قد عرف الكثير من المدن، والعديد من النّساء والكثير من الفرص التّي أسعدته** » [1]، فأكبر مغامرة يمكن أن يمرّ بها الإنسان هي أن يحيا الحياة التّي يحلم بها؛ لذلك يجب أن يخرج للحياة مايوجد في عقله وأفكاره ومايعيش في قلبه؛لأنّ الإدراك هو بداية التّغيير، والتّغيير هو بداية النّمو، فالشعوب التّي لاتملك وعيا ستصبح يوما ما قطيع غنم؛لأنّ لاقرار ولاهدف لها سوى الماء والأكل كالنّعاج:« **إنّها تكتفي بالماء والغداء،وهذا بالفعل كاف، بالمقابل تقدّم بسخاء صوفها ورفقتها،وأحيانا لحمها** » [2]، وعليه فقد أصبحت فريسة سهلة لغيرها، ذلك أنّها توقفت عن الوثوق في غرائزها.

فالقرار القاطع لايدع مجال للتّراجع؛ بل يعطي للشّخص قوّة رائعة توجّهه إلى تحقيق أهداف حياته، وغالبا ماتكون القراءة ومحاولة التّعلم من أفكار الجيل السّابقة، وإنجازاتهم دور كبير في تحفيز المغامر للسّعي إلى تحقيق رغبته وتجسيدها؛ فالبطل« **قرأ سيرة حياة الأشخاص(...)أمثال هلفتيوس وإيلي وفولكانيلي وجيبير.إنّها سير مذهلة: فقد عاشوا**

[1]- المصدر السّابق، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ص22.

جميعهم حتّى النّهاية أسطورتهم الشخصية،كانوا يسافرون،ويلتقون العلماء،ويجترحون العجائب أمام أنظار المشكّكين » [1]، فكلّ شيء يبدأ داخل العقل أوّلا، لذا عندما يتخيّل الإنسان نفسه قادرا على تحقيق الأهداف التّي يؤمن بها في قلبه، ستخلق قوّة ذاتية داخلية تحقّق هذا الحلم، وهذا هو الطّريق إلى النّجاح وثمنه أفكار ومهارات وأخلاقيات وكنوز؛ فانطلق سانتياغو من موطنه وغامر بكلّ شيء في سبيل تحقيق حلمه الكبير؛ المتمثّل في التّرحال والسّفر، والحصول على الكنز المدفون، ويقول في نفسه:« **إنّني مغامر يبحث عن كنز** » [2]، يحيلنا هذا إلى أنّ البطل مستمتع بما يفعله، ويغامر من أجل شيء يحبّه.

فليست القراءة هي التّي تغيّر الإنسان؛ بل الحب هو الذّي يغيّر نظرته إلى الحياة كلّها، ومثال ذلك عندما غضب البطل، وتذمّر من تحمّل عبء معطفه طوال الطّريق الطويلة، التّي يشتدّ الحرّ فيها لدرجة لاتطاق، وبعدها تذكّر« **أنّه بفضل هذا العبء تحديدا لم يشعر ببرد الصّباح الباكر** » [3]،فقال في سرّه:« **ينبغي لنا أن نعيش مستعدّين لمجابهة مفاجآت الطّقس** » [4]، لقد تقبّل الواقع كماهو بحلوه ومرّه؛لأنه أحبّ السّفر.

فالفرد إذا أراد تحقيق إنجازات ذات قيمة في حياته الخاصّة،عليه أوّلا أن يكون شخصا ذو قيمة من وجهة نظره بتنميته لذاته، فبعد مرور وقت لابأس به من تجواله« **بات يعرف عن ظهر قلب كلّ مدن المنطقة؛ وهذا بالذّات ما أعطى معنى لحياته: التّرحال** » [5].

وعليه فإنّ أقلّ شيء يستطيع الإنسان أن يهديه لنفسه، أن يكون أفضل مايستطيع أن يكونه، ويغامر في سبيل مايحبّه، لكي تكون عنده أسطورة شخصيّة خاصّة به، يتفرّد بها من خلال تجديده لوعيه، وفتح آفاق جديدة لها؛ لاكتشاف توازنات جديدة تسمو به.

---

[1]– المصدر السّابق، ص ص 98، 99.

[2]– المصدر نفسه، ص56.

[3]– المصدر نفسه، ص23.

[4]– المصدر نفسه، ص23.

[5]– المصدر نفسه، ص23.

2-الذّات المنكسرة

إنّ الوعي مصاب بالقصور الذّاتي ولديه استعداد كبير للحيرة والارتباك، لاسيّما حين يتعامل مع معطيات معقّدة لم تكن في الحسبان[1]؛ مثال ذلك الحادث الذّي وقع مع بطل الرّواية،عندما كان في وسط زحمة السّوق بمدينة طنجة المغربية« **وقعت عيناه فجأة على سيف لم ير أجمل منه** » [2]،وفي تلك اللّحظة سرقه شخص إعتبره صديق ووثق به، فائتمنه على كلّ ماله؛لأنه كان سيساعده في رحلته،وعندما أدرك أنّه قام بسرقته إنهار باكيا وقال:« **عندما كنت مع أغنامي كنت سعيدا،وكنت أقتسم سعادتي مع كلّ من جاورني،إذا شاهدني النّاس مقبلا نحوهم استقبلوني بحفاوة أمّا الآن فإنّني حزين وبائس** » [3].

نلاحظ أنّ البطل يقارن بين حالته في الحاضر، وكيف كان في الماضي وكيف كان سعيدا، وأصبح الآن حزينا وبائسا؛ فلولا وجود عكس المعنى لما كان للمعنى معنا أصلا.

فبعد السّرقة التّي تعرّض لها سانتياغو، حاول توجيه تفكيره للجانب الإيجابي، فبدأ العمل في حانوت مغربي يبيع الأواني البلّورية لجني المال، وإكمال طريقه إلى مصر.وعندما علم التّاجر صاحب المحل بذلك؛ أخبره أنّه من المستحيل ذلك حتى ولو قام بتنظيف بضاعته طوال سنة كاملة، ونيله أجرا على مبيعاته، لابدّ أن يقترض فوق ذلك،إضافة إلى أنّ الطّريق إلى مصر طويلة جدّا، ومحفوفة بالمخاطر[4].

وعندما علم البطل بذلك سيطر عليه صمت فظيع، لدرجة أنّ المدينة بدت كأنّها استسلمت معه فجأة؛« **لقد انتهى الأمل وانتهت المغامرة والملوك العجزة والأساطير الشخصية، ولم يعد هناك كنز ولا أهرامات ، بدا وكأنّ العالم بأسره قد غدا أبكم** » [5]؛لأنّ

---

[1]- ينظر:عبد الكريم بكّار: تجديد الوعي، ص12.

[2]- باولو كويلو : الخيميائي ،ص52.

[3]- المصدر نفسه،ص53.

[4]- ينظر : المصدر نفسه، ص62.

[5]- المصدر نفسه، ص62.

روح البطل التّي كانت كلّها صبر وأمل صمتت وانكسرت واستسلمت، مجرّد« **نظرة فارغة تعبر من باب الحانة الصّغيرة ورغبة جامحة في الموت، ورؤية كلّ شيء يزول إلى غير رجعة** » [1]،لقد انصدم البطل صدمة كبيرة؛ فتلك الحقيقة المرّة التّي عرفها كلّ ما خطّط له،حيث أصبح يتجنّب الحديث عن حلمه مع أيّ كان، ذلك أنّ الكنز أصبح مجرّد ذكرى موجعة، وهو يحاول ألاّ يفكّر فيه بأية طريقة.

3- الذّات المتحدّية

عندماعلم الفتى سانتياغو أنّ فكرة الذّهاب إلى مصر شيء مستحيل،انكسرت نفسه، لكنه قرّر أن يلملم شتات نفسه ويبدأ من جديد، وقد تجسّدت هذه الحالة في حوار التّاجر والبطل عندما قال له:« **سأعطيك مالا لكي تعود إلى بلدك يابني**»[2] ، فكّر سانتياغو قليلا مع نفسه ثمّ قال:« **أحتاج إلى المال لأشتري بعض الخراف** » [3].

نفهم هنا أنّه قرّر أن يبني هدفا جديدا، ويسعى إليه ولايستسلم للفشل الأوّل، فبدأ العمل في محلّ التّاجر مع أنّه لم يعجبه العمل كثيرا؛ إلاّ أنه أكمل وبدأ يبحث عن طريقة تجعل ربحه يزداد، وتوصّل إلى فكرة أن يعمل خزانة لعرض قطع الكريستال كي يجذب المارّة، وقال في نفسه:« **لم يسبق لي أن قمت بشيء مماثلا، ثمّ إن وضع رفوف في الخارج ،قد يؤدّي إلى اصطدام أحد المارّة بها فتتكسّر المعروضات** » [4]، ثم يتذكر أنّه في الماضي عندما كان في البراري يرعى أغنامه:« **كانت عرضة لأن تقع ضحية للدغة من أفعى،ولكنّ تلك المجازفة تشكّل جزءا من حياة الأغنام والرّعيان** » [5].

---

[1]- المصدر السّابق، ص ص 62، 63.

[2]- المصدر نفسه، ص63.

[3]- المصدر نفسه، ص63.

[4]- المصدر نفسه، ص67.

[5]- المصدر نفسه، ص67.

نجد البطل هنا يرجع إلى تذكّر تجاربه الماضية وربطها بالحاضر؛لأنّ التّجربة تترك أثرها مسجّلة في ذاكرة الفرد، مقترنة بالخيال مخزن الصّور؛التّي تستعاد بالتّشابه أو بالتّضاد أو بالاقتران[1]، وبعد مجازفة البطل وتحلّيه بالجرأة لتنفيد فكرته تزايدت مبيعاته لدرجة كبيرة، وتضاعفت أجرته معها، وبالتّالي إقترب من هدفه المتمثّل في الحصول على الأغنام والعودة إلى بلده، وبقي يثابر ويحاول إبتكار أشياء جديدة لم يفعلها أحد قبله، فتوّلدت في خاطره فكرة تقديم الشّاي في أكواب من الكريستال تبهر النّاظر وتغريه، ممّا يجعل تجارته أكثر تفوّقا؛ لأنّ الجمال يجذب النّاس ويغريهم لدرجة كبيرة[2].

وبعد مرور عدّة أشهر، جمع البطل أغراضه للعودة إلى بلده ومدينته وأهله وحياته الماضية؛لأنه أصبح يمتلك مبلغا محترما يسمح له باسترجاع ماكان يملك من الأغنام[3].

تقوم الحياة إذن على التحدّي والمجازفة، وقد أثبتت حياة العباقرة ذلك في كثير من المحطّات، إذ أنّ أغلبهم انطلقوا من الفشل، وحاولو بكلّ جرأة وإرادة التّغلب على كلّ المعوّقات، ليسجّلوا أسماءهم في سجلاّت التّاريخ ناصعة، فأوجبوا اتّخاد حياتهم قدوة تقتفى وتتّبع.

4-الذّات المتفلسفة

أظهر البشر الغموض والتّعقيد أثناء التّعامل، بحيث لا نفهم في كثير من الأحيان تفسيرهما، لكن يمكن ارجاع ذلك إلى طبيعة النّفس الإنسانية .

فعندما قرّر البطل سانتياغو أن يعود إلى بلده، لم يكن راض عن قراره كثيرا، فقال لنفسه أنّه لن يخسر شيئا إذا ذهب ليسأل عن الأهرامات ويأخد فكرة عن الموضوع، وعلم أنّه إذا

---

[1]- ينظر: عبد الكريم عثمان:"الدّراسات النّفسية عند المسلمين"، ص303.

[2]- ينظر: باولو كويلو:"الخيميائي"، ص73.

[3]- ينظر:المصدر نفسه، ص76.

تجاوز الصّحراء سيصل إلى أهرامات مصر؛ فقرّر هناك الإلتحاق بالقافلة[1]، ووصل إلى واحة الفيوم على الرّغم من أنّه علم أنّ هناك حروبا دائرة بين القبائل[2]،إلاّ أنّه أصبح يؤمن بنفسه، ويؤمن أنّه إذا تتبّع الإشارات فسيصل إلى تحقيق حلمه. وبدأ يطبّق كلّ ما تعلّمه من تجاربه الماضية من انكسار وتحدّي، وتحلّي بالصّبر والشجاعة، وبدأ بالاقتراب من تحقيق أسطورته الشخصية، وفي طريقه لذلك كان يردّد بعض المقولات التّي يتعلّمها من شخصيات التقاها في سعيه كالعجوز العربي الحكيم ملكي صادق، والخيميائي وغيرهما، فقد آمن بما أخبروه وتوضّحت رؤيته من خلالهم، إذ التمس الصّدق وحسن النيّة منهم.

فعندما تصادف البطل مشكلة يقول في نفسه محفّزا إيّاها« **من المتوجّب علينا أن نتّبع الإشارات** » [3].

وقد آمن كذلك بوجود الحظ، حيث نجده يردّد:« **عندما يكون الحظّ إلى جانبنا، ينبغي لنا أن نستفيد منه، وأن نعمل أيّ شيء لكي نساعده بالطّريقة ذاتها التّي ساعدنا بها** » [4]، فقد قال سانتياغو هذا الكلام للتّاجر، عندما سأله عن رغبته في الحصول على خزانة العرض؛ فإذا لم يحاول الإنسان الإبتكار والتّجديد فإنّه لن يتقدّم أبدا.

كما تذكّر حكمة الشّيخ التّي أسهمت في تدعيم موقفه للسّفر وهي:« **عندما تريد شيئا ما حقّا، فإنّ الكون بأسره يطاوعك على تحقيق رغبتك** » [5]،وبعد تردّده بين العودة إلى بلده أو مواصلة طريقه إلى مصر تجادل مع نفسه قائلا:« **إنّني أفهم جيّدا رغبتي في العودة إلى أغنامي فأنا أعرف تلك الأغنام من قبل، وهي لاتحتاج إلى كثير من الجهد وبوسعي أن أحبّها،أيمكن أن أحبّ الصّحراء؟لا أدري، ولكنّ الصّحراء هي التّي تخفي كنزي .وإذا لم**

---

[1]- ينظر: المصدر السّابق ، ص81.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص ص 107 ، 108.

[3]- المصدر نفسه، ص68.

[4]- المصدر نفسه، ص69.

[5]- المصدر نفسه، ص79.

أعثر عليه فبمقدوري العودة متى شئت إلى دياري » [1]، فعندما لايعرف الإنسان ماذا يفعل يبدأ عمله الحقيقي، وعندما لايعرف أيّ طريق يسلك تبدأ رحلته الحقيقية، ووسط هذه الحيرة توضّحت بغيته، بعد تفكير عميق واستبصار ذاتي، قفزت إلى ذهنه مقولة الملك العجوز:« **إنّني دائما إلى جانب أولئك الذّين يعيشون أسطورتهم الشخصّية** » [2]؛ فكلّ شيء يتغيّر معناه،إذا قام الإنسان بتغيير نظرته للأمور وتبسيطها، بحيث يفهم سبب وجوده ويقرّر بمنحة ربّانية توطّد معالم خلوده،لأنّنا إذا أردنا استطعنا« ذلك أنّ الشّامخ في علوّه يجب أن ينشأ من السّحيق في عمقه » [3]،والتوقّف عن المحاولة هو السّبب الوحيد الذّي يؤدّي إلى الفشل،ومفتاح النّجاح هو عدم التوقّف عن خلق فرص جديدة، فلولم يكن بطل الرّواية مؤمنا بحلمه وبنفسه لما وصل في نهاية مغامرته إلى تحقيق أسطورته الشّخصية.

نخلص ممّا سبق ذكره أنّ الذّات التّي يقوم عليها هذا الخطاب الرّوائي، كان بناؤها مركزي؛ لأنّه اعتمد في تحصيله على معارفه وثقافته، فغدت المحور الذّي يسيّر الأحداث، فلمحنا مع هذه الصيرورة قيما ومفاهيم حول الوجود والأخلاق والأديان.

لقد صوّر لنا الرّوائي "باولو كويلو" الذّات محتكمة لقوانين الواجب والحق، تقوم بتجديد وعيها بمقارنة حاضرها لماضيها في أكثر من مرّة، معتمدة على تكنيك الفلاش باك الذّي مهّد مسلك الأحداث، وطرحها بطريقة سليمة ومقنعة، تقنع القارئ دون إلزامه بذلك، وتترك له حريّة اتّخاد قرار الإعجاب والاستمتاع. كما كان لآلية الخيال الأسطوري دور كبير في التّصوير؛ فبواسطتها تمكّن هذا الكائن الورقي بالتّغلغل في الواقع بطريقة سحرية وخارقة، مسّت أغلبية البشر بمختلف الأجناس واللّغات.

وهذا يعني أنّ الرّوائي نجح في تقديم عمله لأنّه لامس الأرواح، وبالتّالي وصل إلى هدفه ومبتغاه، فقد مزج بين الواقع والخيال، فانسلّت معه خصوصيات الفن من إبداع وسحر

---

[1]– المصدر السّابق، ص ص 80، 81.

[2]– المصدر نفسه، ص81.

[3]– فريدريك نيتشه: "هكذا تكلّم زارادشت" ، تر:محمّد النّاجي افريقيا الشرق،المغرب، ط2، 2011، ص138.

لفظي، ومكوّنات الأقدار من تراجيديات وكوميديا مدهشة بعيدة عن كلّ عجيب خرافي؛ لأنّ هدف "باولو كويلو" هو تحقيق واقع الإنسان الذّي يبدو أسطوريّا في بداية نشاطه، لكن سرعان ما تتوالى الأحداث، وترتّب ضمن سياق منظّم نخضع له دون تقييد، بحيث نسمو معه إلى أعلى درجات الإثبات والرّسوخ، ودليل ذلك أنّنا عند انتهائنا من قراءة الرّواية، واكتشافنا مكان الكنز المزعوم، ارتسمت على محيانا إبتسامة عريضة، تقاسمت تفاصيلها حكمة دفينة تملك كلّنا شظاياها، والفرق الوحيد بيننا يكمن في التّوحّد مع وحداتنا، وإعادة صياغتها لتبدو مميّزة ومناسبة لكلّ فرد ولكلّ جماعة.

توازت حياة السارد بحياة البطل ، ونشأت من الظروف الواقعية تجربة مجازية غشيها الخيال، لترد أطياف كويلو المتعددة من فردية وجماعية أغنت الوعي النقدي بإنتاج جملة من الدلالات يمكن تبينها على الشكل الآتي:

ب-استدعاء طيف باولو كويلو:

ولد باولو كويلو في 24 أغسطس 1947 بمدينة ريو دي جانيرو في البرازيل، وكان يحلم منذ طفولته بأن يصبح كاتباً؛ لأنّ الكتابة كانت هي الأمر الوحيد الذّي يشغل باله منذ أن كان طفلاً، وازدادت رغبته الجامحة للكتابة بعد أن لاحظ أنه لا يحظى باهتمام الفتيات إطلاقاً، فاعتقد بأنّ الكتابة ستكون الوسيلة التي ستخلّصه، فأخذ يبحث عن الميزات التي تميّز بها الكتّاب، وكيف كانوا يتصرّفون في حياتهم اليومية، فوجد بأنّ الكاتب يلبس ملابس معينة، ولا يكترث بتمشيط شعره ودائماً ما يرتدي النّظارات[1].

فبدأ في تقليد الطّريقة التّي يفكر بها الكتّاب، ولاحظ أهله تصرفات ولدهم الغير طبيعية في نظرهم، واعتقدوا بأنّه فقد عقله، تحدثت معه والدته محاولة إقناعه للعودة الى الحياة

[1]- ينظر: أماني عزت:باولو كويلو البرازيلي الأسطورة، 20جولية2015 ، 6:52، ضمن موقع : www.ward2u.com/showthread.php?t=23305.

الطبيعية، ودراسة التخصص الذي أمره والده بدراسته، ولكن دون جدوى استمر في التّمرد، وفعل ما يحلو له[1].

– كان والده يقول له محاولاً إقناعه للتّخلي عن حلمه:« **لا أحد يمكنه الحصول على لقمة العيش من خلال الكتابة**» [2] .

– ردّ قائلاً: « **هذا ليس مهماً يا أبي أنا أريد أن أكون سعيداً فحسب، أريد ان أفعل شيئاً له معنى وقيمة في حياتي** »[3] .

– حاولا والديه بشتّى الوسائل إقناعه ليصبح مهندسا كوالده، لكنّهما أصيبا بالإحباط في كلّ مرّة يسمعان فيها ردّه المتمرد، كانا قلقان جدّا عليه، وظنّا بأنّه قد أصيب بالجنون وهو الآن في أمسّ الحاجة إلى المساعدة فقرّرا معالجته؛ بإرساله الى المصحة النفسية عندما كان في السابعة عشر من عمره، إلاّ أنّه كان يهرب في كل مرّة يتمّ إرساله إلى المصحة النفسية، حتّى تمّ إطلاق سراحه أخيرا في المرة الثالثة وهو في العشرين من عمره[4].

وذكر الطبيب النفساني بأنّ: «باولو كويلو لديه شخصية انفصامية، يرفض التّواصل الاجتماعي والعاطفي، وأنه غير قادر على التعبير عن مشاعره أو الشعور بالبهجة» [5].

علّق باولو كويلو على تلك الأحداث قائلا: « لقد كنت طالباً ذو تحصيل متدني، عاني من الحزن والشعور بالوحدة والقلق، ولكن لم أكن مختل عقليا.عدم الوضوح والارتباك والتصرفات المنطلقة من انعدام الشعور بالأمان، كل ذلك يندرج تحت تعريف الشباب» [6].

بالرّغم من أنّ والديه عاملاه بصرامة واعتقادهما بأنّه أصيب بالجنون؛ إلاّ أنه لم يكن يكرهما أبدا وقال: « لقد كان من المحزن بالنسبة لهما أن يكون لديهما ابن مثلي، الطريقة

---

[1]– ينظر: المرجع السّابق.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– المرجع نفسه.

[4]– ينظر: المرجع نفسه.

[5]– المرجع نفسه.

[6]– المرجع نفسه.

التي عُوملت بها كانت في الأساس من منطلق الحب» [1].

لم يكن لديه حلّ في ذلك الوقت سوى مسايسة أهله، والتّصرف على أنّه بالفعل مختل عقليا، فبذلك سيتمكن من فعل ما يحلو له – هكذا كان يعتقد–، فتخلّى عن حلمه بالكتابة وذهب لدراسة القانون، فعلى الأقل سيحصل على وظيفة تدرّ عليه بعض المال بعد تخرجه، في اعتقاد والديه، فدرس القانون لمدّة سنة ثم ترك الجامعة، وانضم إلى مجموعة شبابية تدعى "الهيبز"؛ وهم شباب مناهضين للفكر التقليدي السائد، والمتحكم به كبار السن من الجيل القديم،وقد أراد هؤلاء الشباب الدّعوة إلى المساواة والحرية والحب وحرية التعبير، فأمضى باولو كويلو وقته في تلك السنوات في السّفر لبلدان مختلفة حول العالم، وتعاطي المخدرات، واهتم بعلوم السحر، وانغمس في الملذات وحياة "Rock&Roll"[2] .

وأمضى بعضا من وقته أيضا في دراسة العلوم الروحانية الشرقية، ويقول:« اكتشافي الأول للحضارة العربية الإسلامية كان من خلال العرب المقيمين في البرازيل، ثم طوّرت معرفتي من خلال قراءة الأدب العربي مثل: كتاب "ألف ليلة وليلة"، إضافة للأدب الصوفي مثل: كتابات "جلال الدين الرومي" إلى جانب اطلاعي على النصوص الدينية...لقد أحببت الشّرق بعمق، وأعتبر كتاب "النبي" لجبران خليل جبران كأحد الكتب الحاسمة في حياتي وعملي» [3].

وبعد عودته إلى البرازيل عمل في شركات الفن الموسيقي، وكان يقوم بكتابة كلمات الأغاني لفنانين مشهورين، وقد احتوت بعض من تلك الأغاني على رسائل سياسية، فظنت السلطة البرازيلية الدكتاتورية آنذاك بأنه يحرّض العامة على السلطة؛ فاعتقل ثلاث مرات وتم تعذيبه نفسياً وجسدياً. كان يبلغ من العمر 36 سنة في آخر مرة اعتقل فيها، وبسبب الخوف قرّر أخيرا ترك فكرة المناهض المتمرد جانباً، ليصبح رجلا عاديا يقضي بقية حياته في

---

[1]– المرجع السّابق.

[2]– ينظر: شيماء فؤاد : "باولو كويلو محارب النور_الله يسكن روحي ...والصوفية سرّ إلهامي"، 6أكتوبر 2014 ، 9:47 ، ضمن موقع: http://www.moheet.com/215043 VzP3J3ydyoh htm.

[3]– المرجع نفسه.

الطريق الأسهل، يتبع العامة ويتجنب المواجهات، ويقوم بتنفيذ كل ما يؤمر بفعله، ليصبح بذلك النموذج المثالي للمواطن الصالح المحترم للقانون،متناسياً أمر أسطورته الشخصية[1].

وقد علق "باولو كويلو" على السنوات التي قضاها بعد السجن قائلاً:« التعذيب أثّر على شخصيتي، وكنت أريد العيش كشخص عادي لبقية حياتي، ولكن لحسن الحظ حدث ذلك فقط لسبع سنوات؛ ومع مرور الوقت تشافيت من الجراح وبعدها قلت لنفسي بأن هذه ليست الحياة التي أحلم بها، يجب علي العودة للعمل على أحلامي وأن أعيش أسطورتي الشخصية »[2].

قرر كويلو في عام 1986م السفر للحج إلى سانتياغو دي كومبولا* لتأدية فريضة الحج في سن الأربعين ولم يقم بكتابة أيّ كتاب بعد« توسل بالدّعاء إلى ربه ليرزقه الجرأة للعمل على أحلامه مهما كلّف الثمن، وطلب من ربه أن يريه ريشة بيضاء؛ كرسالة إلهية تأمره بتغيير مجرى حياته، ليتّخذ من الكتابة مهنته الجديدة، وبينما هو في الطريق رأى ريشة بيضاء على إحدى النوافذ فسلّم أمره لله، وقرّر ترك عمله القديم سعياً لعيش أسطورته الشخصية » [3].

وفي عام 1987 زار الروائي البرازيلي "باولو كويلو" وزوجته مصر لأوّل مرّة وسحره منظر غروب الشّمس مع علوّ الأهرامات واقشعرّ بدنه في تلك اللّحظة، وعندها فاز بمسرح روايته الموسومة "بالخيميائي" التي حظيت بشهرة عالمية كبيرة[4].

صرح قائلا: «هدفي المثالي هو أن أكون ذلك الشخص الذي قام بكتابة كتاب القرن

---

[1]– ينظر: المرجع السّابق.

[2]– المرجع نفسه.

* مدينة سانتياغو دي كومبولا:هي مدينة تقع في شمال غرب اسبانيا، يأتيها المسيح الكاثولكيين من شتى أنحاء العالم سنوياً، للمشي في طريق السانت جيمس.

[3]– المرجع نفسه.

[4]– ينظر: المرجع نفسه.

وتأملات الألفية، وتاريخ البشرية»[1] ، وقد فعل ذلك ونجح في إنتاج أعمال تشار إليها أنّها أعمال عبقرية وأسطورية بامتياز.

وعليه فقد آمن باولو كويلو بحلم طفولته، وتمرّد على اختيارات أهله، حتى اعتقد الآخرون بأنه مصاب باختلال في العقل، وكان استماعه لضميره وحدسه هو الذي حثّه على الكتابة باستمرار، وما إن بدأ في الكتابة حتى تبين بأنّ كل تلك الأحداث السلبية والإيجابية التي وقعت في الماضي، كانت تجهزه وتصقله ليكون الشخص الذي يجب أن يكونه[2].

– ويقول كويلو عن علاقته بالتصوف الإسلامي:« **كتاباتي متأثرة لحد بعيد بتعاليم الإسلام الصوفية؛ لقد ألهمني التصوف بالفعل إلى حد كبير خلال حياتي**»[3]؛ فقد أصبح يهوى الصوفية الإسلامية وفلسفتها التّأملية، وكذلك تأثّر بالثقافات الشرقية، وآمن بالواحد الأحد، فساعدته كل تلك الثّقافات المكتسبة مع معارفه التّراثية، بصنع أسلوب جديد لنفسه غيّر حياته وصبّها في كتاباته[4].

– نتبيّن ممّا ذكرناه أنّ الرّوائي" باولو كويلو" أسقط على الكائن الورقي في روايته، عدّة محطّات من حياته: كإيمانه بالإله، واتّباع الإشارات، وأهميّة السّعادة النّفسية الوجدانية، كما رسم لنا ذاته الحالمة المحبّة للمغامرة والسّفر والتّرحال، وما يصادفها من تشظّي وانكسار من جهة. وضرورة خلق فلسفة خاصة بالذّات، تساعدها على تحدّي تلك الصّعاب والقوى الغامضة، وميزتها في تطهير الفرد وتقوّيته من ناحية أخرى، وقد ضمّنها كويلو بطريقة ذكية عبقرية في روايته.

كما شدّ انتباهنا الشّبه الموجود بين بطل الرّواية سانتياغو وكويلو في عدّة سمات شخصية ذاتية، سنحاول أن نمثّلها بمخطط يوضّح نقاط التّشابه بينهما:

---

[1]–المرجع السّابق.

[2]– ينظر: المرجع نفسه.

[3]– ينظر: أماني عزت:باولو كويلو البرازيلي الأسطورة، 20جولية2015 ،6:52،ضمن موقع :
. www.ward2u.com/showthread.php?t=23305

[4]– ينظر : المرجع نفسه.

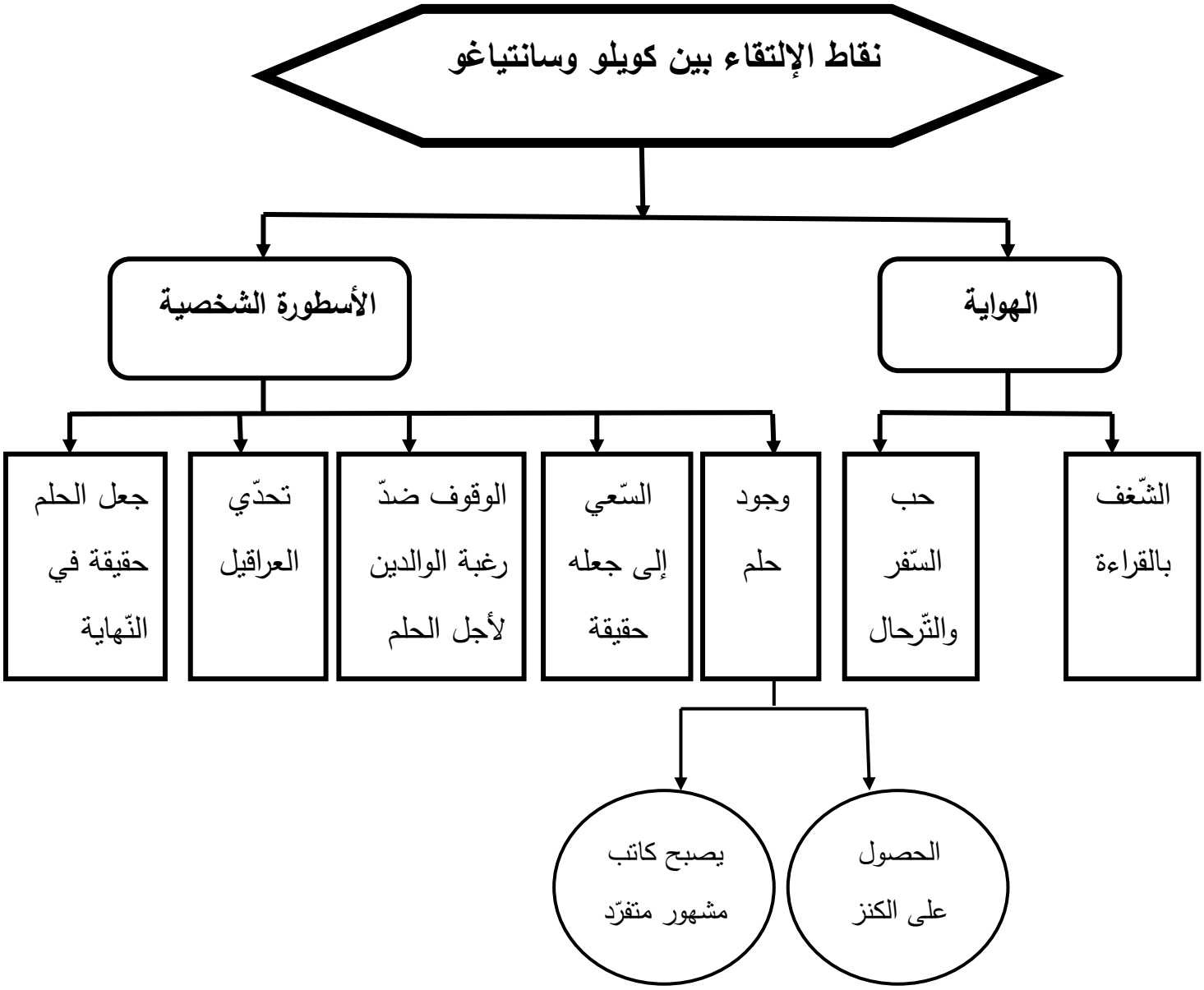

نخلص في الأخير بأنّ رواية" الخيميائي" تتضمّن حياة الرّوائي "باولو كويلو"، وتمثّل سيرة حياته، ذلك واضح في كلّ أحداثها السّردية تقريباً، فهي تؤكد اقتباسها من محّطات حياة الرّوائي ومغامراته التي تنمّ عن تّجربة فريدة خطّتها يداه ، لإيمانه الشّديد بفقه السعي والبحث والعمل الجاد سمّاها **بالأسطورة الشخصية** .

الخاتمة

الخاتمة:

تدعونا هذه الخاتمة إلى حصر أهمّ نتائج البحث في نقاط موضحة كالتالي :

1. امتلاك الفنان الحالم العبقري "باولو كويلو" المحب للسفر والترحال، قدرات وآليات اشتغال عقلية خيالية؛ سمحت له بتحويل مفاهيم تراثية خرافية عجائبية غرائبية،إلى مفاهيم واقعية حياتية مألوفة وجب تحقيقها؛سماها بالأسطورة الشخصية.
2. استفزاز الذّات الحالمة الغامضة المعقدة العلوم المختلفة،ليحاولوا تشريحها و تفكيك حيثياتها وشفراتها الإعجازية.
3. وجود لغة سرية خاصة تتشارك فيها كل الكائنات، لايفقهها إلاّ المتدرجين في مراتب الروح ضمن الحضرة الإلهية كالمتصوفة.
4. استطاع تيار الوعي تفتيت عمل عقل الذّات ، وإبراز صورة دينامية للعالم الحيّ، الذّي أدّى إلى فهم أفضل للذّات الحالمة والواقع والكون معا .
5. أثبت كويلو أصالة فنه ، فنجد بين ثناياه لوحة فنّية تعبيرية فردية لفنّان عبقري ملهم.
6. لعبت اللّغة الرّمزية الإيحائية الجمالية الخاضعة للتّأويل دورا كبيرا في إضفاء لمسة متميزة وفريدة على هذه الحكاية القصصية السّردية الكيميائية التّي احتوت الوجود البشري والكينونة معا ضمن حبكة علائقية شملت كائنات حيّة مختلفة.
7. رواية الخيميائي هي رواية الرمز السحري، ورحلة مستفزة في عالم السيمياء الفاتن رسخت بأحداثها المدروسة والمنسابة أخاديد مؤثرة لا تزول وإن تغيرت الأبطال ، فقد نجح كويلو في استدعاء المتلقي بطريقة مغرية دون إلغاء قوة الوعي والإدراك لأن هدفه المتعة والفائدة.

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا: المصادر

1- باولوكويلو: الخيميائي، تر: جواد صيداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط16، 2008.

ثانيا: المراجع

أ.المراجع العربية:

1- أحمد عكاشة: آفاق في الإبداع الفنّي، رؤية نفسية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

2- بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، د.ط، د.ت.

3- بيلاغرانبرغر: النرجسية، دار المعارف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط، 2000.

4- خَزْعَر الماجدي: إنجيل بابل، دار الأهلية،بيروت، لبنان، ط1، 1998.

5- زكي نجيب محمود: "جابر بن حيان"، دار مصر للطباعة،الاسكندرية، مصر، د.ط، 2001.

6- ساعد خميسي:ابن عربي المسافر العائد،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2010.

7- سامي المظفر: أساسيات الكيمياء الحياتية، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، د.ت.

8- سلامة موسى: العقل الباطن أو مكنونات النّفس، دار الهلال، مصر، د.ط، 1928.

9- سليمان مظهر:

- أساطير من الغرب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

- أساطير من الشرق، دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000.

10- سمير عبده: التّحليل النّفسي للمكاشفة الباطنية، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط1، 1994.

11- شوقي أبو خليل:الحضارة العربية الاسلامية و موجز عن الحضارات السابقة،دار الفكر، دمشق ،سوريا، ط1، 2002.

12- أبوطالب المكّي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، تح: باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط1، 1997.

13- عبد الرحمن بن محمود نموس: الصوفية بين الدين والفلسفة، دار الإيمان، إسكندرية، مصر، ط1 ، 2008.

14- عبد الرّزاق الموافى: "الرّحلة في الأدب العربي"، مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، ط1،1995

15- عبد الرقيب أحمد البحيري: الشخصية النّرجسية، دار المعارف، أسيوط، ط1، 1987.

16- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذّاتية، دارتوبار، الجيزة، مصر،د.ط، 1992.

17- عبد الكريم بكّار: تجديد الوعي، دار القلم،مشق، سوريا ، ط1 ،2000.

18- عبد الكريم عثمان: الدّراسات النّفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2، 1981.

19-علي اسماعيل علي:نظرية التّحليل النّفسي_إتّجاهاتها الحديثة في خدمة الفرد، دار المعرفة، مصر ،1995.

20- علي زيعور:الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم ،القطاع اللاوعي في الذّات العربية، دار الأندلس ، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

21- علي الوردي:خوارق اللاّشعور أو أسرار الشّخصية النّاجحة،دار الورّاق، لندن، د.ط، 1996 .

22- ابن كثير: بداية خلق الكون، تح: عادل أبوالمعاطي، دار البشيرة، القاهرة، مصر، د.ط، 1998.

23- كرم أمين أبو كرم: حقيقة العبادة عند محي الدّين بن عربي، دار الأمين ، القاهرة، مصر ، ط1، 1997.

24- محي الدّين ابن عربي:

- الإسفار عن نتائج الأسفار،جمعية دار المعارف العثمانية، حيدرآباد الدّكن، ط1، 1948.
- لوازم الحبّ الإلهي، تح: موفق فوزي الجبر، دار النمير، دمشق، سوريا، ط1، 1998.

25- ميساء سليمان الإبراهيم: البنية السّردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، د.ط ، 2011.

26- ميرسا إلياد: الأساطير والأحلام والأسرار، تر: حسيب كاسوحة، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2004، ط1

27- ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي،مكتبة الوفاء، القاهرة ، مصر، ط1، 1995.

28- يوسف ميخائيل أسعد:

- سيكولوجية الإلهام، دار غريب، القاهرة، مصر،د.ط، د.ت.
- العبقرية والجنون، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، 2001 .

ب.المراجع المترجمة:

1-آناماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف، تر: محمد إسماعيل السّيد ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2006.

2-بولاند جاكوبي:علم النّفس اليونغي،تر:ندرة اليازجي، دارالأهالي، دمشق ، سوريا، ط1، 1993.

3-جيرار جينيت وآخرون:نظرية السّرد من وجهة النّظر إلى التّبئير،تر:ناجي مصطفى، منشورات كوثر، المغرب، ط1، 1989.

4-شارل سنيوبوس:تاريخ حضارات العالم،تر:محمد كرد علي،دار العالمية للكتب والنشر،ط1، 2012.

5-مارسيل ديتان: اختلاف الميثولوجيا، تر: مصباح الصمد، مر: بسام بركة، المنّظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2008.

6- فريدريك نيتشه: هكذا تكلّم زارادشت،تر:محمّد النّاجي افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2011.

7- ميلان كونديرا: فنّ الرّواية، تر:بدر الدّين عرودكي، دار الأهالي،دمشق، سوريا، ط1، 1999.

8- والس بدج: كتاب الموتى الفرعوني، تر: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، ط1، 1988.

ثالثا: المعاجم

1- حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، ط1، 1987

2- مجد الدّين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشّامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1، 2008.

رابعا: المجلات والدّوريات:

1- حسن أحمد عيسى: الإبداع في الفّن والعلم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، د.ط، ع24، 1978.

2- حسين محمد فهيم:أدب الرّحلات،عالم المعرفة،الكويت،ع138، 1989.

3- ديفيد لودج:فنّ الرّواية، تر:ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ع288، ط1، 2002.

4- كريمة محمد بشيوة: النظريات المفسرة للإبداع الفنّي،االمجلة الجامعة،طرابلس، ع15 ، 2013، مج2.

خامسا: المواقع الإلكترونية

1- www.ward2u.com/showthread.php?t=23305 .

2-www.arab-eng.org/vb/t185330.htm.

3-http://www.moheet.com/215043

ملخّص

ملخّص

تعد هذه الدّراسة الموسومة بـ"ميثولوجيا الذّات ومركزية الحلم في رواية "الخيميائي" للرّوائي العالمي "باولو كويلو"، مقاربة نفسيّة سيكولوجية للميثولوجيا الواقعية الحياتية، المرتكزة على الأحلام؛ النّابعة من القوى العليا التّي ساعدت كثيرا في اكتشاف القدرات والخوارق البارزة داخل الذّات الإنسانية؛ من خلال بنية الشّخصية الرّوائية، وبنية فضائها الزّمكاني، مجسّدة روح الحوار الثقافي بين الشعوب .

الكلمات المفتاحية: الميثولوجيا، الذّات، الحلم، السّرد.

Summary

This study indicated with ‘‘ego’s Methodology&Dream’s Centralism in The novel of The Alchemist’’ of The novelist ’’Paolo Coelho’’ ,is considered as a psychlogist approach of the realist methodology based on dreams, Stemming from the upper forces that helped a lot in discovery capabilities and outstanding miracles that appear inside human ego, through the novelist personality structure and its temporal-spatial area, It embodied the spirit of cultural dialogue between countries and nationalities.

Key word : Methodology -Ego -Dream -Narrating.

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة.....أ_ د.

الفصل الأوّل:عالم الذّات النّفسي.....5_32.

تمهيد.....7.

المبحث الأوّل: نظرية الإلهام.....8_11.

أ – المعاني الأسطورية في الرّواية.....11_21.

1.روح الكون .....12_13.

2.إكسير الحياة.....14_16.

3.نرجسية الذّات.....17_18.

4.البطل الواقعي.....18_19.

5.البطل الخيالي.....20_21.

المبحث الثّاني: مشكلة المصير.....21_29.

أ – السفر الصوفي.....22_25.

1–رحلة الذّهاب.....25_28.

2–رحلة العودة.....28_32.

الفصل الثّاني:سنن الحوار الثّقافي في الرّواية.....33_69.

المبحث الأوّل: علاقة الراوي بالحضارة الإسلامية.....35_39.

أ-بنية الشخصيات .....36_38.

ب-بنية الفضاء ..... 38_39.

المبحث الثّاني:الحوار بين الثقافتين الاسلامية والمسيحية.....40_41.

أ-الإيمان بوجود الإله.....40_41.

ب-طريق المعرفة والسعادة الروحية.....41_44.

المبحث الثالث: أثر السيرة الذاتية في الرواية.....45_66.

أ-تعانق الذّاكرة والخيال.....50_55.

1-المستوى الواعي .....50-52.

2-المستوى اللاّواعي.....52_55.

3-مستويات الذّات في الرّواية.....56_64.

ب-استدعاء طيف باولو كويلو.....64_69.

خاتمة.....70_71.

قائمة المصادر والمراجع..... 72 _77.

ملخّص.....78_ 80.

فهرس الموضوعات.....81_83.